عبد الرّزاق بوكبّة

رماد يذروه السّكون

تأمّلات في الحراك الجزائري



عبد الرزّاق بوكبّة

رماد يذروه السّكون

تأمّلات في الحراك الجزائري



رماد يذروه السّكون

عبد الرزاق بوكبّة
رماد يذروه السكون
ردمك: 978-9931-9582-1-5
الإيداع القانوني: سبتمبر 2019

ضقّة للنشر والتوزيع
حي 24 فيفري 1971 سيدي عيسى ولاية المسيلة
إيميل: dammah.nashr@gmail.com
dammah.nashr



رماد الإهداء

إلى خيبة الذّباب

عبد الرّزّاق

كُتبت هذه التّجربة في برج بوعريريج، ما بين **28** فيفري و **04** ماي **2019**. ونشرت في العمود الفيسبوكيّ اليومي للكاتب "**فنجان ساخن**" للكاتب مواكبةً منه للأحداث.

ويندوز قديم

عبث البنات بمكتبتي من حين لآخر ليس ثمرة لعدم إدراكهنّ لأهميتها، فقد تربّين على تقديس الحرف والكلمة، بل هو ثمرة لرغبتهنّ في تحديثها وتكييفها، وفق الفتوحات التكنولوجيّة الجديدة.

كلّ فهم للحراك الشّعبي، خارج تطلّع الجيل الجديد إلى مناخات جديدة بوجوه وتوجّهات جديدة، هو فهم متعسّف في حقّ التحوّلات الموضوعيّة الحاصلة داخل الفضاء الجزائريّ.

حين يرغب الشّعب في ترتيب الأوراق بنفسه، ولا يتمّ التّعامل معه رسميًّا، وفق القاعدة الدّستوريّة: «الشّعب مصدر السّلطات»، فذاك يعني أنّ الكذب هو الرّابط بينه وبين السّلطة. وإذا استطاع حبل الكذب أن يستمرّ، لفترة معيّنة، بسبب وجود منظومات «شعبيّة» مستفيدة مقابل منحها شرعيّة مزيّفة لتلك السّلطة، فإنّه لا يستطيع ذلك في ظلّ صعود/ نضج/ امتلاء جيلٍ وُلد وكبر خارج الإطار بكلّ معانيه.

هنا، علينا الاعتراف بأن ثمّة ترجمة حقيقيّة واحدة لمفهوم الوطنية وحبّ الوطن، لدى كلّ من يدّعيها في الأجهزة الحاكمة، والأطراف الموالية لها، هي الإنصات لمطالب هذا الجيل. لأنّه الوريث الشّرعيّ للمستقبل الوطنيّ. وإنّ الاستمرار في القول عنه إنّه ليس قادرًا على حمل المشعل أو حمايته من

الوقوع في الأيدي غير الجديرة به، من محترفي الصّيد الطّفيلي، ما هو إلا دليل على اعتراف المنظومة القديمة بفشلها

قاع الفنجال

"حرّرتم" البلاد من الاحتلال. فواصلوا فضلكم بتحريرها منكم، قبل أن يفوتكم الفضل.

النّهر يلفظ أوساخه

هل يستطيع أب يستعمل الحمام الزّاجل في تواصلاته مع محيطه القريب والبعيد أن يفهم ويتفهّم ولده، الذّي يستعمل آخر صيحات الهواتف النّقالة؟

سيُخيّل له في البداية أنّه يستطيع أن يفهمه ويتحكّم فيه ويفرض عليه مقولاتٍ وخياراتٍ كثيرةً، اعتمادًا على سكوت الولد إمّا بسبب الحياء واحترام مقام الأبوّة، وإمّا بسبب غرقه في أجهزته، لكنّه سيكتشف في لحظة ما أنّه في الوقت، الذّي كان يعتقد فيه أنّ صمت الولد إذعان وطاعة وقبول، كان هذا الولد يغذّي صمته بلغة الرّفض والانزعاج والتضمّر، ليعلن عن نفسه تمامًا في اللّحظة، التي يريد أبوه فيها أن يستمرّ في التحكّم رغم عجزه عن ذلك.

أرى أنّ أصعب انتفاضات الأبناء، والتّي تثمر بالضّرورة تحرّرهم النّهائي من السّلطة الأبويّة في الجوانب المتعلّقة بالتّسيير الفاشل والمتعسّف، هي تلك التّي يفرزها إحساس الأبناء بأن أباهم يذلّهم بإلغائهم، حيث يتحوّل إلى ذات مُهينة ومعرقلة وكأنهم أبناء زوجته لا أبناؤه، وهذا ما وصل إليه الرّئيس بوتفليقة بالضبط مع الجيل الجديد.

هنا، على الوجوه التّي لم تساهم في تحرير هذا الجيل من تعسفات المرحلة السّابقة، سواء كانت في حقل الثّقافة أو

السّياسة أو الفنّ أو الإعلام، وكانت تكرّس عنه أحكامًا جاهزة من قبيل "سلبي" و"كسول" و"اتّكالي" و"سطحي" و"عنيف" و"فرداني"، بينما كان يطوّر وعيه بلحظته الجزائريّة، في صمت يشبه الاستقالة الجماعيّة، أن تتفادى التّواجد في واجهة الحراك الجديد، احترامًا للنّفس والتّاريخ. ففي علم الأنهار نجد هذه الأخيرة تعتمد ما يُسمّى علميًّا بالتّنقية الذاتيّة من الأوساخ.

قاع الفنجال

غبيّ هو الأعْزَل، الذي يحاول أن يفرض الوصاية على شارع انتفض في الأصل رفضًا لوصيٍّ يملك السّلاح.

وجبة لغثاء السّيل

لم يتّعض قطاع واسع من النّخبة التّقليديّة من تأخّره عن الحراك الشّعبيّ في بداياته. فراح يقترف غلطةً صارخةً هي المبادرة إلى اقتراح وجوه معيّنة لتمثيل الحراك، بمنطقٍ فوقيٍّ لم يعد إلى المصدر الشّعبيّ.

أوّلًا:لم نسمع في كلّ المسيرات اسمًا أجمعت الجماهير على ترديده. و ما دون ذلك كانت أسماء نخبة اقترحتها نخبة.

ثانيًا: ساهمت هذه العقليّة في استفزاز شباب الحراك، وخلق نقاشات هامشيّة نحن في غنى عنها الآن. بما يضعنا أمام سؤال وجيه: لصالح من؟

ثالثًا: نحن مطالبون باقتراح آليات توصل الحراك إلى إفراز ممثليه من داخله، هذا دور المثقف، لا بالنّيابة عنه في التّفكير، حتّى ننسجم مع طبيعة اللحظة الشّعبيّة، ونتفادى الشّبه مع المحيط الرّئاسيّ، الذّي خرج الحراك أصلًا ضدّ منطقه الأحاديّ والمتجاهل للإرادة الشّعبيّة.

رابعًا: بادرت بعض الأسماء المقتَرحة إلى رفض اقتراحها، لأنّها تفهم طبيعة اللّحظة وتتعامل معها بنزاهة، فيما سكتت أخرى، بما يُظهر أنّ الحراك ليس مهدّدًا من أنانيّاتٍ خارجه فقط، أنانيّة المحيط الرّئاسيّ، بل من أنانيّات داخله أيضًا.

ثمّ لماذا البحث عن تمثيل للحراك؟ هل سنتفاوض مع القوم؟ نحن رفعنا مطلبًا واضحًا هو رحيل الجماعة الحاكمة فورًا، فيتمّ إعلان شغور منصب الرّئيس، بما يترتّب عنه من إجراءات قانونيّة عفويًّا معزّزة بالمادّتين اللتّين تمنحان للشّعب السّلطة المطلقة؟

خارج هذا، فالحراك بدأ وظلّ وسيبقى سلميًّا ومؤطّرًا بشكل ذاتيّ وعفويّ رائع. بما يجعل محاولة البعض لتمثيله محاولة للاستفادة سياسيًّا منه. وهذا ما سيرفضه الشّارع نفسه، كما رفض محاولات المحيط الرّئاسي.

قاع الفنجال

اخدم خدمتك كما يُمليها عليك كونُك مثقّفًا. من ذلك المساعدة على نشوء تنسيقيات محلّية تفرز تنسيقيّة وطنيّة حقيقيّة تقوم بتكليف من تراها وجوهًا جديرة بالتّمثيل في مراقبة الحراك للمرحلة الانتقاليّة وحماية خياراته، وإلا التزم ما أنت متعوّد عليه: الصّمت.

خذوا الحكمة من أفواه الأطفال

ربّما تساهلت مديريّات التّربية في توفير المناخ المساعد على خروج تلاميذ المدارس إلى الشّوارع، للانضمام إلى الحراك المطالب برحيل الجماعة الحاكمة، استجابةً لتعليمةٍ خفيّةٍ، من الجماعة نفسِها، توقّعًا منها أن يُميّع الأطفالُ الأمرَ ويُبرمجوه على العنف، فيتمّ تجريد الحراك من أقوى أسلحته: الرّوح السّلميّة المطلقة.

سارع أصحاب النّوايا الحسنة إلى التّنديد بخروج الأطفال، ودعوة الآباء والأمّهات والمعلّمين إلى التدخّل، لإعادتهم إلى البيوت والأقسام، خوفًا عليهم ومنهم. لكنّ الطّفل الجزائريّ أصرّ على الخروج وصناعة مشاهدَ مختلفةٍ منحت للحراك عمقًا ومذاقًا مختلفين ومثيرين للدّهشة والانتباه.

لم يمنعه سنّه من فعل الخروج، رغم أفعال الضّغط والتّحذير والتّخويف (قوّة الإرادة). ولم يمنعه من إدراك أنّ السّلمية مطلوبة لحماية الحراك، فكان في غاية السلميّة واللّباقة والهدوء (قوّة التّأقلم). ولم يمنعه من افتكاك حصّته في لفت الانتباه إليه إعلاميًّا وفيسبوكيًّا، في فترةٍ تتميّز بانتقال بؤرة الاستعراض شعبيًّا من استعراض العضلات إلى استعراض الاحتجاجات (قوّة الشّخصيّة).

لقد فرض الطّفل الجزائريّ نفسه داخل الحراك، حتّى صار له نجوم، مثل ذلك الطّفل، الذّي أبكى الجزائريين، بمخاطبته لأحمد أويحي: "الجزائر ماهيش سوريا".

نشأ هذا الجيل داخل معطيات لم تحظ بالدّراسة والانتباه الكافيين، أهّلته لأن يكبر وينضج قبل الوقت. منها أنّه فتح عينيه داخل التّكنولوجيات الجديدة، فهي ليست طارئة عليه مثل سابقيه. وأنّه لم يُؤطّر من طرف المنظومة الرّسميّة، فهي لا تملك حتّى قناة موجّهة للأطفال. وانتشار ثقافة مستجدّة في الشّارع الجزائريّ، خلال العقدين الأخيرين، هي العلاقة القائمة على "الصّحبة" بين الأخ الصّغير والأخ الأكبر، حيث بات الطّفل يُصاحب ويرافق أخاه لا أباه، بما جعل خبرة وعلاقات الأوّل تنتقل إلى الثّاني، وفق مفهوم جديد للاحترام لا يقوم على منطق "بلّع فمّك".

من هنا، أرى أنّنا سنقترف غلطةً كبيرةً، في مسعى التّرتيب للواقع الجديد، إذا أقصينا الأطفال (أحفاد الطّفل عُمار في ثورة التّحرير) من المجالس والمنابر والمبادرات واللّقاءات والبرامج والأفكار، التّي ستناقش أبجديات هذا الواقع/ التحوّل، فنجد أنفسنا أمام حراك لهذا الجيل بعد سنوات قليلة فقط.

قاع الفنجال

لازم نبنوها على الصّح. من السّاس للرّاس

تشويش الجدران

أخيرًا استطاعا أن يقهرا الظّروف الصّعبة والعراقيل الجمّة كلَّها، ويفرضا زواجَهما على محيطهما، الذّي كان يرفضه رفضًا.

شرعا في الإعداد للعرس. فشرع محيطُهما يتحدّث عن تفاصيلَ لم يَحِنْ حينُها: هل سيسكنان وحدهما أم يبقيان في بيت العائلة؟ هل سيُنجبان الأطفال في عامهما الأوّل أم سيُؤجّلان ذلك إلى وقتٍ لاحق؟ كم من مرّةٍ ستزور العروس بيتَ أبيها؟ هل سيبقى العريس معها في تلك الزّيارة أم سيكتفي بإيصالها؟

لم يلتفت الخطيبان إلى هذه الهواجس الخارجة عن المقام والمشوّشة عليه. وواصلا معركة الإعداد للزّواج بكلّ أنفاسهما وفلوسهما.

طوّر المحيطُ هواجسَه المُعَرقلة: هل سيكون العرس في البيت أم في قاعة الحفلات؟ هل سيكون بالأناشيد أم بالغناء والموسيقى؟ هل سيكون مفصولًا أم مختلطًا؟ هل سيجوب الكورتاجُ المدينةَ أم يكتفي بنقطتي الانطلاق والوصول؟ هل ستخرج العروس بالبرنوس أم بالرّوبّة المكشوفة؟ هل سيدخل عليها في البيت أم يأخذها إلى الفندق؟

يوم العرس: خرج العريسان ممسكَيْنِ يَدَيْ بعضهما وهما عاريان تمامًا إلّا من نشوتهما بتحقيق الهدف. فهرب المحيط كلّه إلى جحوره.

ثاع الفنجال

أليس هذا حال النّخب السّياسية والثّقافية والحزبيّة مع الحراك، في مباشرتها الحديثَ عن شكل الدّولة القادمة، قبل تحقيق ظروف قيامها بطرد العصابة؟

رائحة أقدام الإيديولوجيا

لا تنسَ أيّها المُؤَدْلَجُ، مهما كانت وجهتك، أنّك كنت، قبل الحراك بساعاتٍ، خاضعًا لأيديولوجيا واحدٍة هي الهيمنة البوتفليقيّة. فلماذا بدأت تخون هذا الحراك، الذّي حرّرك تحريرًا، بإخراج قرنيك الأيديولوجيين، وحديثك عن شكل الدّولة الجديدة، قبل تحقيقها، زارعًا بذلك الشّقاقَ في الصّفوف، التّي لم نصدّق أنّها اجتمعت، بعد كلّ جهود الجماعة الحاكمة في تفعيل سياسة «فرّقْ تَسُدْ»، وإلا هل كنّا سنبقى تحت هيمنتها طيلة زمن هو عمر شباب الحراك؟

لماذا كنت منسجمًا مع الحراك في جمعاته الأربع الأولى؟
ثمّ فجأة ظهر لك أن تُعلن عن لونك الخاصّ منسحبًا من اللّون العام للحراك، الذّي هو لون الجزائر الثّريّة بالألوان؟
هل كان الحراك بلونك فقط، فكنت معه، ثمّ رأيته تعدّد فقرّرت أن تنتصر للونك؟

لقد بدأ الحراكُ من تاء تبسّة إلى تاء تلمسان ومن تاء تمنراست إلى تاء تيزي وزّو (هذه ليست لي للأمانة)، بمطلبٍ واحدٍ هو تحرير البلاد والعباد من العصابة الحاكمة، وبحلمٍ واحدٍ هو بناء نظامٍ جديدٍ تكون فيه السّيادة للشّعب بكلّ وجوهه وجهاته واتّجاهاته، وبروحٍ واحدةٍ هي روح المحبّة الشّعبيّة الجامعة. فهل نسيت هذا؟

كن شجاعًا واعترف بأنّك امتداد للجماعة الحاكمة، لأنّ سلوكك يصبّ في مصلحتها لا في مصلحة الحراك والتّغيير. أم أنّك لا تملك الوعي الكافي، فوقعتَ في فخّ الذّباب الإلكترونيّ، الذّي حوّل الأموال، التّي جُمعت لحملة الرّئيس المترشّح، إلى تمويل الحرب النّفسيّة والإلكترونيّة، بعد إسقاط خيار العهدة الخامسة؟

أصارحك بأنّي مشفق عليك. لأنّك ستُفوّت فرصة تاريخيّة لأن تكون شريكًا في حراك شعبك المجيد، ولستُ خائفًا من تأثيرك، فلا تأثير لك، لأنّك مفصول عن شارعك، الذّي لم يعد يُلقي بالًا إلّا لصوته وحلمه وإصراره. والدّليل أنّ الإشاعات والتّشويشات، التي عرفها كانت كثيرةً ومؤهّلة للتّأثير، لكنّ الجمعة الرّابعة أسقطتها في الماء، وكذلك ستفعل الخامسة.

احِتَرِمْ إديولوجيتَك وانصهرْ في الخيار الوطنيّ، الذّي تقبّل كلّ الأيديولوجيات. وبعد أن نحقّق الهدف المشترك، تفرّغ لتقديمها والدّفاع عنها بكلّ راحة. أمّا إذا شوّشت اليوم، بالمسارعة إلى الانتصار لها، قبل الفصل مع العصابة، فستجد نفسك قد وضعت إيديولجيتك في خانة التّخوين من طرف الشّعب، الذّي سوف لن ينسى أفعال الذّباب، مثلما لم ينسَ أفعال الذّئاب.

قاع الفنجال

أمّنا لا تلبس ثوبًا واحدًا يا أخي.

من يقرأ ألبوم الشّبل؟

تساءل السيّد أحمد أويحي، قبل أن تلهمه «عبقريته» بمطالبة جماعته بالاستجابة لمطالب الشّعب، بالموازاة مع بيع فيلّته حتّى لا يجعلها هذا الشّعب ضمن مطالبه: من قويدر بن قويدر، الذّي يقف خلف الحراك؟

وحتّى نكون منصفين، ربّما يختلف المنطلق فقط، لم يكن الوحيد، الذّي طرح هذا السّؤال. فقد طرحته نخب كثيرة قبله وبعده ولا يزال شطر منها يطرحه، في ظلّ عجزها عن فهم ما يحدث، لأنّها مارست فعل التّعالي عن هذا الجيل، فلم تبذل جهدًا في قراءة أفعاله، في سياق كونها إشاراتٍ على تحوّل في السّلوك والأفكار، بناءً على معطيات موضوعيّة في التّنشئة والتّواصل والتّلقي وقنوات الوعي المختلفة عمّا كانت عليه في السّابق.

بل إنّ بعض وجوه هذه النّخب السّياسيّة والثقافيّة والإعلاميّة تعدّت مقام التّعالي على الجيل الجديد، إلى مقام التّتفيه والتّسفيه كم من عقل انتبه، مثلًا، إلى دراسة ألبومات صور «المصاغر» في فيسبوك؟ ومشاهدة فيديوهاتهم، خاصّةً عندما يقصدون البحر صيفًا؟

إنّه من النّادر أن نجد ألبومًا لشابّ يخلو من صورة له وهو يحاول أن يطير. كما يندر أن تخلو فيديوهاته من فيديو يصوّر قفزه من أعلى الرّوشي (الشاطئ الصخري).

أما إذا قرأنا بقيّة الصّور، بعين المتأمّل، فإنّنا لن نجده في وضعية المستكين، الذّي يضع يديه في جيبيه أو خلفه أو على صدره.

إنّه في حالة استنفار ونشاط دائم. لذلك فإنّ أحبّ التّعابير الفنّيّة إليه البريك دانس. عكس صور النّخب السّياسيّة والثّقافيّة المبرمجة على الوقفة المتحفّظة دومًا. وهو التّحفّظ الذّي أملى عليها نظرة احتقار لفنون هذا الجيل وتعابيره المختلفة، وأسّس لهوّة بينها وبينه، ففاتها أن تفهمَه.

هذا الجيل الطّائر روحًا وجسدًا، لم تطرأ عليه التّكنولوجيات، مثلما حصل مع سابقيه. بل فتح عيونه عليها مباشرةً، أي أنّها ضمن مخياله، ممّا جعل الزّمن مكثّفًا لديه، فسرّع من وتيرة وعيه بالأشياء، وإلا كيف نفسّر وجود «مثقّف» يمضغ يوميًّا حاجته إلى المصروف، حتّى أنه يضطرّ إلى مداهنة مدير الثّقافة كي يبرمجه في أسبوع ثقافيّ، فيحصل على مصروفة، في مقابل وجود شابّ متسرّب من المدرسة يفتح خطًّا تجاريًّا بين مدينته ودبي أو اسطنبول أو هونغونغ؟

من الأولى بدراسة البنيات والأنسجة التجاريّة والاستفادة منها، المحسوب على التثقّف أم المحسوب على التسرّب؟

لقد فات المثقفَ التّقليديَّ في الجزائر أن يحقّق فتوحاتٍ جديدةً في الفهم والعيش، مثلما فعل الجيل الجديد، وفاته أيضًا أن يكون هذا الجيل تفكيرًا وسلوكًا محلّ دراسته وإبداعه، فغرق في تثقيف شخوصه، في مجال الرّواية مثلًا، لأنّه لا يعرف غير المثقفين.

إنّ قليلًا من الذّكاء والتأمّل يجعلنا ندرك أنّ قطاعًا واسعًا من النّخبتين التّقليديتين في السّياسة والثّقافة التحق بالحراك الشّبابيّ مرغمًا تحت الضّغط، لأنّه يدرك عميقًا أنّه إذا نجح سيُؤّسس لمفاهيمَ جديدةٍ، بما فيها مفهوم النّخبة نفسِها، وهو لن يستطيع أن يجد له مكانًا في المستقبل، لذلك من صالحه أن يستمرّ النّظام الحامي للقدامة وثقافة الرّيع، وإلا كيف نفسّر أنّ قطاعًا واسعًا من النّخبتين كان في مقدّمة الشّرائح تفاعلًا مع ما ينشره الذّباب الالكتروني وتأثرا به؟

قاع الفنجال

من تكبّر على تعابير الجيل الجديد بالأمس، وجد نفسه مرغمًا على تطبيق تعاليمه في الشّارع اليوم.

شعرية الحراك

أرى أنّه، عوض الاكتفاء بمحاكمة الشّعراء عمّا يُسمّى تقصيرًا في الوصول إلى النّاس، كلّما حلّ علينا اليوم الوطنيّ للشّعر (17 أوت) والعالميّ (21 مارس)، علينا أن نعالج قضية باتت تنخر واقعنا من الدّاخل، وهي تصحّر الذّوق العامّ، حتّى وصلنا إلى مرحلة أرغمنا فيها على المصالحة مع الرّداءة والبشاعة وغياب الانسجام في معيشنا ومحيطنا.

لقد بات الجزائريّ يبني خارج جماليات البناء، ويأكل خارج جماليات الأكل، ويعيش خارج جماليات العيش، أو ما يمكن أن نسمّيه شعريّة الحياة. وهو مقام لا ينفع معه أن يكون لنا شعراء كبار، ذلك أنّه واقع يصنع هوّةً بين الذّوات المبدعة والذّوات المؤهّلة لأن تكون متلقّية.

على المنظومات المعنيّة المختلفة أن تنتبه إلى هذا المعطى، خاصّةً بعد هذا الحراك الشّعبيّ السّلميّ الكبير، الذّي عطّل كلمات «صعب . مستبعد. مستحيل. غير ممكن»، وتترك استقالتها من أداء مهمّتها، بانخراطها في مسعى استرجاع الجزائريّ لسلطة الاحتكام للذّوق في كلّ الأفعال، ويومها يصبح إنتاج الفنون وتذوّقها تحصيلَ حاصل ومنها الشّعر.

راسلني أكثر من صديق متحمّس، والشّعر الحقيقيّ كما أفهمه ثمرة للذّات الرّائية لا الذّات المتحمّسة، بدعوة الشّعراء

إلى أن يتظاهروا، اليوم، مساندةً للحراك. فقلت إنّ الشّعراء ليسوا قطاعًا، مثل المحامين وعمّال البريد والنّفط، حتّى يخرجوا في مسيرة مستقلّة، بل هم صنّاع الجمال وحارسوه المدافعون عنه، وعليهم عوضًا عن ذلك أن يُخرجوا الشّعر إلى السّاحات والشّوارع ليحرّروه من القاعات المغلقة، ويواكبوا شغف التحرّر لدى الناس.

إنّ الحراك لم يعد محتاجًا إلى من يحشد له، فثمّة مدن لم يبق في بيوتها إلا القطط والأثاث، بل إنّ هناك من أخرج حيوانه، إنّما هو محتاج إلى اقتراح مضامين جماليّة وفكريّة جديدة، في مقابل تحليل وقراءة ودراسة وتأمّل وتوثيق الموجود منها.

من الغفلة ألّا ننتبه إلى أنّ الكوجيتو الشّعبيّ «يتنحّاو قاع» لا يقصد إلّا العصابة السّياسيّة والماليّة فقط، بل يقصد أيضًا العصابات الشّريكة في تصحير الوضع العام، منها العصابة الثقافية والفنّيّة، التّي نهبت المال واحتكرت المجال ولم تنتج الجمال. وهو إن لم يقل ذلك اليوم صراحةً، فسيفعلها مستقبلًا. ذلك أن رفض «التمسخير» سيصبح ثقافة عامّة.

قّاع الفنجال

انتهى زمن الصّراخ والاستنساخ والتّشماخ. طاخ. طاخ. مات شاعر القبيلة والمنصّات والمناسبات، وولد شاعر الحياة.

تحوّلات الجمعة

حين كنّا نعيش وضعًا بائسًا ويائسًا كنّا نغرق في عبارة «جمعة مباركة»، التّي كانت أكثر المنشورات هيمنةً على الفيسبوك الجزائري يوم الجمعة. وحين بتنا غارقين في أمل معمّم، بفعل الحراك الشّعبيّ السّلميّ اختفت أو تكاد.

أرى أنّ الأمر يعود إلى أنّ الجزائريّ كان يقصد بها، في السّابق، أن يبارك الله جمعته، في ظلّ إحساسه بالعجز داخل وضع سياسيّ واجتماعيّ واقتصاديّ وثقافيّ بائس يسيّره البؤساء. أمّا اليوم، بعد أن فكّ القيد وفرض إرادته، أدرك أنّ مباركة اللهّ للجمعة محقّقة، فهي عيد المسلمين، أي أنّها مباركة ربّانيّاً، وما عليه إلّا أن يباركها هو، أي الشّعب، إنسانيًّا، بأن يمنح لحياته فيها معنى حضاريًّا، فانتقل بذلك من مقام الدّعاء، الذي هو اعتماد على الله، إلى مقام الفعل، الذّي هو اعتماد على النّفس، في ما هي مسؤولة عنه بتوفيق الله.

لقد كان الجزائريّ، يوم الجمعة، يطبّق الأمر الإلهيّ «فاسعوا إلى ذكر اللهّ»، ويغفل عن الأمر الثّاني «فانتشروا»، ممّا جعل جمعته خاملة وخالية، حتّى أنّنا وصلنا إلى مرحلة بتنا نخلّ فيها، باسم احترام الجمعة، بنظام المداومة في ما هو ضروريّ لاستمرار الحياة، مثل المخابز والصّيدليّات.

وحين بدأنا نطبّق أمر الانتشار، بعد ذكر الله"، باتت الجمعة يوما ننتظره بشغف، بعد أن كنّا نعدّه يومًا ميّتا من الزّاوية الاجتماعيّة.

من هنا، سقطت دعوة البعض إلى الصّلاة، خلال المسيرات، في الماء، بفعل الوعي الجديد للجيل الجديد، الذّي بدأ يرتّب أفكاره الدّينيّة بشكل جيّد: أصلّي في المسجد وأتظاهر في الشّارع. وحين يرتفع الآذان، وأنا في الشّارع، أصمت احترامًا لضميري الدّيني.

من لم يقرأ هذا الموقف بشكل عميق، من الإسلاميين والعلمانيين معًا، ويتصرّف على أساس كونه يشكّل هوّية تقوم على الوعي لا على التّبعيّة الايديولوجيّة العمياء للجزائريّين الجدد، فسيكون مشمولًا بالحكم الشّعبي الصّارم، الذّي تلخّصه عبارة "يتنحّاو قاع".

بقي على الجزائريّين الآن، بعد أن يحقّقوا مطلب التّغيير السّياسيّ، أن يمنحوا أيضًا معنى للسّبت والأحد والاثنين والثّلاثاء والأربعاء والخميس، والشّتاء والرّبيع والصّيف والخريف، باحترام قيم العمل والعلم والحوار والاختلاف والنّزاهة وتثمين الجماليات والكفاءة والرّوح المدنيّة.

ڤاع الفنجال

البركة بالأرض لا بالسّماء.

فوفوزيلّا في آذان الخنازير

أظهر البعض لحسن نيّة، ولا أضيف عبارة «أو لسوئها» احترامًا منّي للرّأي المخالف، انزعاجًا من دخول آلة الفوفوزيلّا إلى مسرح الحراك، في إطار تنويع الشّباب لتعبيراتهم المحتجّة، وهذا مبحث مغفول عنه لدى النّخب، فهي تبادر بإبداء المخاوف أكثر من إبداء التّحاليل (عقلية العجوز الوصيّة على الأحفاد).

ومبرّر الانزعاج أنّ أصوات هذه الآلة تغطّي على حناجر الحراك، وكأنّ مطالبه مجهولة أو ليست مكتوبة، أو كأنّ العبرة بالأصوات، التّي تسمعها الأذن، لا بالأعداد التّي تراها العيون.

إنّ الشّباب الذين قاطعوا مباريات ذات بعد حميمي عميق، مثل داربي العاصمة، ومقابلة الفريق الوطنيّ، حفاظًا على روح الحراك واكتفاءً بها، هم أنفسهم الذّين ادخلوا طقس الفوفوزيلا على المسيرات، في الشّوارع والسّاحات، فكيف تفشل السلطة في جرّهم إلى الملاعب، وتنجح في إقناعهم بهذا الطّقس، الذّي يقال إنّه يخدم أهدافها؟

علينا الانتباه إلى أنّ كثيرًا من مخاوف النّخب، هو في عمقه ثمرة لقلّة ثقتها في الجيل الجديد، أو محاولة لاستصغاره لأنّه نجح في ما فشلت فيه.

أكاد أجزم أنّ المصدر الأصليّ للتّحذير من طقس الفوفوزيلا هو نفسه المصدر المشرف على الذّباب الالكتروني، لأنّه طقس يقدم خدماتٍ جليلة للحراك.

إنّ طقس الفوفوزيلا في المسيرات دالّ على شبابيّة الحراك وعلى روحه السّلميّة، وباعث على الحماس، وعلى جلب الأسماع والانتباه، وإثارة زغاريد الشّرفات، وخلق تجمّعات صغيرة داخل الجمع الكبير، فيسهل منع التّسيّب، ومنح روح مبهجة للمسيرة، بما يعطي انطباعًا بأنّ الشعب مرتاح لخياره السّلميّ، ويملك الصّبر عليه. كما أنّ هناك رمزية تزعجهم هي أنّ صوتها يستعمل لإخراج الخنازير من مكامنها لدى الفلاحين. وهي اللّحظة التّي تخلق فيها الارتباك، فتعلن عن نفسها من تلقاء نفسها.

قاع الفنجال

نحن بصدد جيل لا يعبث، وتجاوز سلطة ونخبة عابثتين. شغلتاه سابقا بالغايطة، فأراد أن يشغلهما اليوم بالفوفوزّيلا.

إقصاء مرّ

كونُنا سعداءَ بالحراك ومنتمين إليه ومؤمنين به وعاملون له، لا يعني أن نصمت عمّا نعتقد أنّها نقائص واختلالات وتعسّفات فيه.

لقد كان الصّمت مبرّرًا، خلال الشّهر الأوّل، شهر العواطف والانفعالات، كما تنفعل الأمّ بقدوم جنينها في ساعاته الأولى، ثمّ سرعان ما تنتبه إلى أنّ الاكتفاء بتقبيله وبَرْبَرَتِه وتمسيده لا يقوّيه، فتبادر إلى الإرضاع والتّنقية، وإلا كانت مخلّة بأمومتها.

أرى أنّه من التعسّفات، التّي وقع فيها الحراك، في عمومه، وضع أحزاب الموالاة والمعارضة، ثمّ وضع الأحزاب المعارضة في سلّة واحدة، فباتت مشمولةً كلّها بعبارة "يتنحّاو قاع".

ذلك أنّه علينا الاعتراف بأنّ الحراك كان ثمرةً لتراكم المظالم أكثرَ منه ثمرةً لتراكم النّضالات. وإنّ هذه المظالم لم تقع على رؤوس المواطنين فقط، بل وقعت أيضًا على نخبة من الأحزاب السّياسيّة في كلّ المدارس الايديولوجيّة. ويمكننا الرّجوع إلى الأرشيف لنعرف ذلك بوضوح.

لقد قام الحراك رفضًا لتعسّف القوى غير الدّستوريّة، باعتراف إحدى الواجهات الحاكمة. ولا ينبغي له أن يقع في ما ثار عليهحتّى يكون جديرًا بصفة "البديل".

ثمّ إنّ الحراك حقّق مكاسب كثيرة، منها تحريره لقطاعات كثيرة، بما فيها الأحزاب السّياسيّة. فلماذا لا يستثمر في الطّاقات، التّي حرّرها، خاصّةً تلك التّي لم تأكل «الكاشير»، وفضّلت عليه الجوع؟

لقد سبق لبعض الأحزاب أن قاومت السّلطة القائمة، في شكل انتخابات ومسيرات وعرائض واحتجاجات واقتراحات، وخذلها الشّارع لاعتبارات كثيرة، منها وقوعه في فخّ شيطنة المنظومة الحاكمة للأحزاب المعارضة. فلماذا يلومها اليوم على أنّها لم تقدّم له شيئا؟

من حقّ قوى الحراك أن تسدّ الباب في وجه المعارضة، التّي لم تتواطأ صراحةً مع العنكبوت السامّ، وهي ترغب في تمثيل الحراك، فتتركه بلا تمثيل، لأنّه غير محتاج إلى ذلك الآن، ذلك أن الحلّ في يد من يملكه، أي السلطة، لا بيد من يطالب به، أي الشّعب، لكن ليس من حقّها شيطنتها وطردها من الميدان وتسويتها بأحزاب الكاشير والبندير، لأنّ ذلك في صالح العنكبوت.

صحيح أنّ ثمّة أحزابًا لم تختر المعارضة لأنّها نزيهة، بل لأنّها لم تستطع أن تشارك في الكعكة، لكن هناك أحزاب

اختارت المعارضة، لإيمانها بفساد النّظام، حتّى وإن وقعت أحيانًا في أخطاء معيّنة.

ثمّ إنّ الصّندوق قادم. وعلينا أن نترك له الحكم على هذه النّخبة غير الملوّثة «كثيرًا» من الأحزاب، لا أن نحكم عليها خارجه، فنقع في المنطق نفسه، الذيّ كانت تحتكم إليه الجماعة التّي نطالبها بالرّحيل.

قاع الفنجال

اندلع الحراك حين حرّر الشّارع عواطفه. وسوف لن يفرض أهدافه إلّا إذا عقلنها.

أنهار عمياء

من منّا لم يمارس في طفولته التّخفّي عن الأنظار، أو الصّمت، طيلة المدّة التّي تلي ضربَ واحد من كبار الأسرة له؟

في تلك الفترة، ينسج الطّفل سيناريوهات التمرّد، كما يمارس الحلم بأن يكبر حتّى يتجاوز مرحلة القهر.

هذا ما كان الجيل الجديد يفعله. بفعل إحساسه بالقهر العامّ، الذي تميّز به العهد البوتفليقي، بكلّ تفرّعاته ما ظهر منها وما بطن.

اختفى عن الأنظار ومارس الصّمت. وبينما كان يرسل انطباعًا بأنّه غير موجود، كان يحلم بأن يكبر وينسج سيناريوهات التمرّد، لذلك انجرّ قطاع واسع من النّخب السّياسيّة والثّقافيّة والإعلاميّة، تحت ضغط المفاجأة، وراء هذا السّؤال: من يقف وراء الحراك؟

ثمّة سلوكات شبابيّة لم تقرأها هذه النّخب التّقليديّة بشكل صحيح، لأنّها خرّيجة العقليّة الأحاديّة، التّي تجعل سجينها يفرض العلامات فقط، لا أن يقرأها أيضًا من المختلف عنه والخارج عن سياقه. ولو أحسنوا بالأمس قراءة العلامات، التّي كان الجيل الصّاعد يرسلها تلميحًا، لما أوقعوا أنفسهم اليوم

تحت رحمته تصريحًا، فراحوا يشحتون أن «يتفهّمهم» ويقبلهم في حراكه.

من علامات أن الجيل الصّاعد كان يلغي ذاته ليثبتها لاحقًا، ممّا ورّط الجماعة في الغفلة عنه، والجماعة هنا لا تعني الحكّام فقط، بل تشمل أيضًا جميع النّخب، بما فيها النّخبة الثّقافيّة، أنّه انحاز للاسم المستعار في الواقع وفي الافتراضي.

ففي الواقع، بات من النّادر أن نجد شابًا يُنادى باسمه الحقيقيّ. بل باسم مستعار يطلقه على نفسه أو يطلقه عليه محيطه، عادةً ما يكون مضحكًا. فإذا كان اسمه الحقيقيّ حسام مثلًا، فهو يتراجع أمام اسمه المستعار، كأن يكون الراشكلو أو التّمساح أو الموس.

أمّا في الافتراضي، فيسبوك تحديدًا، فقد وصلنا إلى مرحلة كادت فيها الأسماء الحقيقيّة تقتصر على النّخبة، التّي لم يكتفِ بعض وجوهها بذكر أسمائهم الحقيقيّة فقط، بل أضافوا لها ألقابهم الأدبيّة والأكاديميّة أيضًا، بما يتنافى مع روح مواقع التّواصل الاجتماعي.

لقد أدّت روح التخفّي، لدى الجيل الصّاعد، إلى أن يغرق في ثقافة «الخلوي»، بكلّ تجلّياتها: تعاطي الموسيقى عبر الكتمان/ تربية الزاوش/ الشغف بالكلاب/ تفضيل الرّوشي على الشاطئ الرملي/ مقاطعة المجالس، التّي لا يستطيع أن يستعمل فيها القاموس البذيء/ تعويض وسائل النّقل الجماعيّة

بالدّراجة/ الدّردشة افتراضيًّا واستعمال الهاتف، بعد أن ينام الغاشي/ تفضيل الغارغوتي على مائدة البيت.

وفي اللّحظة التي امتلأت فيها الجماعة الحاكمة بالثّقة في نفسها، معتقدة الموات السّياسيّ لهذا الجيل، بعد تدجينها وتيئيسها للأجيال التّي قبله، حتّى أنّها تجرّأت على أن ترشّح الرّئيس المريض لعهدة خامسة، ليصبح عمر حكمه مساويًا لعمر هذا الجيل، فنحن نتحدّث عن عشرين سنة، وامتلأ هذا الجيل، في المقابل، بالثّقة في نفسه، خرج واحتلّ الشّارع مفنّدًا كلّ الأحكام الجاهزة عنه، في مقدمتها كونه عنيفًا وضعيفًا وسخيفًا.

علينا الانتباه إلى أنّ الاسم المستعار تراجع، واقعيًّا وافتراضيًّا، بين الشّباب الجزائريّين، لندرك أنّه استرجع إيمانه بهوّيته الذاتيّة والجزائريّة. وأنّ إمكانيّة اختراق حراكه بأيّ شكل من أيّ طرف يكاد يكون مستحيلًا.

قاع الفنجال

رانا صحينا وباصيتو بينا.

ليس ثمّة بيضة واحدة في سلّة العسكر

يدرك قطاع واسع من الشّعب أنّ مقترح المادّة 102 ليس الورقة الأخيرة في يد المؤسّسة العسكريّة. لذلك فهو يضغط للحصول على ما هو أفضل: مرحلة انتقاليّة حقيقيّة بوجوه حقيقيّة تشرف على انتخابات حقيقيّة. وهو إن ضيّع هذه الفرصة التّاريخيّة، فسيصبح محكومًا بديمقراطيّة مزيّفة عقودًا أخرى.

ولأنّ المؤسّسة العسكريّة تتصرّف بذكاء، فقد تركت لنفسها مخرجًا يحمي هيبتها. إذ لم تدعُ إلى تفعيل المادّة 102 بنبرة الأمر، بل بنبرة الاقتراح، حتّى إذا حدثت جمعة سادسة حاشدة، ذهبت إلى مقترح آخر، بما يناسب طموحات الشّعب.

سأذهب بعيدًا بالقول إنهّ ليس مستبعدًا أّن يكون الفريق قايد صالح يتمنّى في قرارة نفسه ألّا يقبل الشّارع اقتراحه بتفعيل المادّة 102، ويستمرّ في حراكه، حتّى يتدخل مرّةً أخرى ويقترح عليه ما يريد، فتظهر المؤسّسة العسكريّة شريكة فعليّة للشّعب في «الرّؤية نفسها للمستقبل». ولا شكّ في أنّه سيستفيد هو شخصيًّا من هذا، فينقذ نفسه من حكم "يتنحّاو قاع".

يبدو أنّ كثيرًا من النّخب السّياسيّة والإعلاميّة والثّقافيّة لم تفهم لحظة الحراك الشّعبي من داخلها، وبقيت أسيرة معطيات وأحكام موروثة عن الشّعب ما قبل 22

فيفري/ فورار، لذلك فهي إمّا تخاف منه، فتهلّل لمقترح الجيش، أو تخاف عليه، فتنصحه بمبدأ «خذ وطالب»، من غير أن تتجاوز ذلك إلى مقام أن تكون شريكته في الفعل لا الانفعال.

وإنّ روح الفعل التّي عانقت روح الشّعب، بعد سنوات من الاستقالة المعنويّة، هي التّي جعلته يبادر بالخروج في الجمعة الأولى، ويرفض مقترح الرّئيس في الجمعة الثّالثة، ثمّ مقترحه في الجمعة الرّابعة، رغم وجاهتهما في الظّاهر، وهي نفسها ما يجعله اليوم يرفض مقترح المؤسّسة العسكريّة، من غير أن يفقد الثّقة في هذه المؤسّسة المفصليّة.

قاع الفنجال

من لم يفهم بعد أن الشّعب الجزائريّ لم يعد مستعدًّا مرّة أخرى لأن يتخلّى عن سيادته، فليستعدّ لأن يفقد هو سيادتَه.

تحوّلات الرّعب

إنّ هذا الحراك ليس أغنية موسميّة يغنّيها الجميع، ثمّ ينسونها. بل هو نشيد وطنيّ يردّده الجميع ويورّثونه. وكلّ محاولة لجعل حافظيه ينسونه تبوء بفشل الفاعل وإهانته في الوقت نفسه.

قياسًا على هذا:

أوّلًا: فشلت المنظومة الحاكمة في جعل الشّعب يتراجع عن حراكه، رغم أنّها اعتمدت على التّخويف والتّرغيب. وهي معطيات عميقة في الإنسان، وسبق لها أن نجحت بها في جعله خارج اللّعبة عشرين عامًا، لأنّ احتجاجاته السّابقة كانت شبيهة بالأغنية الموسميّة، تكون حارّة في البداية، ثمّ سرعان ما تنطفئ.

ثانيًا: يسارع المسؤول الخائن لروح النّشيد الوطنيّ إلى مشاركة الجموع في الوقوف له وترديده، حتّى يظهر منها ويبرّر حكمه لها، لأنّ النّشيد يعبّر عن وجدانها الوطنيّ والثّوريّ الجماعيّ، لكنّه لا يشاركها حفظ وترديد أغنية الموسم، التّي تعبّر عن وجدانها العاطفيّ، حتّى يتميّز عنها ويتعالى عليها.

هل انتبهنا، في العشريتين السّابقتين، إلى أنّ أبناء المسؤولين الكبار كانوا يحفظون ويردّدون أغاني الموسم في الغرب خاصّةً فرنسا، في الوقت الذّي كان أبناء الشّعب يرددّون

فيه أغاني موسميّة جزائريّة؟ واحتفل بعضهم في السّفارة الفرنسيّة بفوز الفريق الفرنسيّ بكأس العالم في روسيا، في الوقت الذي كان أبناء الشّعب يحتفلون في الشّوارع بتسجيل الفرق العربيّة والغربيّة الصّديقة أهدافًا.

في هذا الحراك الشّعبيّ السّلميّ الكبير، كان رؤوس السّلطة يجوبون عواصم العالم ليقنعوها بوجاهة أوراقهم، في الوقت الذّي كان الشّعب يجوب شوارعه ليقنعهم بحتميّة الرّحيل.

ثمّة هوّة عميقة ظلّت تفصل ابنَ الشّعب البسيط عن ابن المسؤول الكبير في الجزائر. وقد ظهرت أكثرَ وضوحًا خلال هذا الحراك، الذّي فاجأهم، فانتقل إليهم الإحساس بالرّعب والخوف وانتظار الأسوأ.

ففي الوقت الذّي بات فيه ابنُ الشّعب يعيش اللّحظة بطعم الحلم والمستقبل، حتّى أنّه كفّ عن التّفكير في الهجرة، ومن هاجر أصبح شغوفًا بالعودة، بات ابنُ المسؤول يعيشها بطعم الخوف ومحاولة الهجرة.

سنظلم هذا الحراك إذا اكتفينا في الحكم عليه من زاوية مدى نجاحه في تحقيق أهدافه السّياسيّة فقط، وغفلنا عن ثماره الثّقافيّة والاجتماعيّة، منها تجديد مفهوم الخائن والوطنيّ، ومحاصرة المنظومة الفاسدة في زاوية واضحة ومعروفة لدى

الشّعب، بعد أن كانت معروفة لدى المخابرات فقط، قبل تفكيكها ونقل الإشراف عليها إلى يد العصابة.

قاع الفنجال

لا بدّ أن نتجاوز مرحلة ذهاب الخونة، إلى مرحلة ذهاب الأغبياء، الذّين يقرأون اللّحظة بمؤخّراتهم لا بعقولهم، في المستويات كلّها، لأن الجمهوريّة الجديدة، بغضّ النّظر عن كونها أولى أو ثانية، تقوم على قوّة الذّكاء.

تحرير القبّعة قبل الرّأس!

راسلتني صديقة تلومني على أنّني لم أشجب حادثة اعتداء بعض شباب الحراك، في واقعة معزولة، على مجموعة من النّساء كنّ يحملن لافتاتٍ تناهض قانون الأسرة. فقلت لها: إنّ الاعتداء مرفوض لفظيًّا أو جسديًّا، من حيث المبدأ ومهما كانت المبرّرات. لكن لماذا تشكّل هذا الحراك الشّعبي منذ 22 فيفري ؟ قالت: لمنع العهدة الخامسة. ثمّ تطوّر المطلب إلى رحيل العصابة ككل.

قلت: سقطت العهدة الخامسة. فهل رحلت العصابة كلّها؟

ـ لا.

ـ هل من المنطق أن نرفع لافتاتٍ تخصّ مطالب فئويّة ومذهبيّة، قبل تحقّق المطلب الوطني؟

إنّ الحراك يواجه رؤوس الأفاعي. وهو مهدّد على أكثر من صعيد، ولن يحميه إلا سلميته ووحدة مطالبه ووحدة حامليها. فبأيّ منطق يجيز، في هذه المرحلة بالذّات، أن ترفعي أنت مطلب تعديل قانون الأسرة، أو يرفع ثان مطلب تطبيق الشّريعة، أو يطالب ثالث بدولة علمانيّة؟

إنّنا بصدد الكفاح جميعًا من أجل الوصول إلى مرحلة يستطيع فيها كلّ واحد منّا الإعلان عن مذهبه، في إطار

الصّندوق الشّفّاف، من غير أن يزوّر له أحد إرادته أو يقمعه لأنّه يحمل الفكر الفلاني. فلماذا نسبق العرس بليلة؟
ثمّ ألا يُفترض وجود طرف حاكم تُوجّه له المطالب الفئويّة المرفوعة؟ فأين هذا الطّرف الآن؟ ألسنا في حالة فراغ؟ فإذا كان هؤلاء المؤدلجون، علما أن الأيديولوجيا معطًى بشريّ ضروريّ في سياقه الطّبيعيّ، يطالبون السّلطة، فقد خرجنا لنطالبها بالرّحيل، وإذا كانوا يطالبون الشّعب نفسه، فهو لا سلطة له إلا سلطة الضّغط لتحقيق هدفه الكبير: رحيل العصابة، والدّخول في مرحلة انتقاليّة حقيقيّة بوجوه حقيقيّة، للوصول إلى ديمقراطيّة حقيقيّة تسع الجميع.

على الجميع أن يدركوا معطًى وجوديًّا، فلا يلعبوا بالنّار، هو أنّ لحظة الحراك بلورت مفاهيم جديدة منها مفهوم «الحركي»، الذّي لم يعد ذلك الذّي عارض أو شوّش على ثورة التّحرير فقط، بل هو أيضًا من عارض أو شوّش على أهداف الحراك الشّعبيّ المسالم، بالنّظر إلى تشابه التّجربتين في معطى التّحرير.

قاع الفنجال

استرجع شيّك، من بعد بيّن زيّك.

رسالة إلى مدراء القنوات الفضائيّة المستقلّة في الجزائر

لستُ ممّن يُتفّه رصيد القنوات المستقلّة، على مدار سبع سنوات، في المساهمة في صناعة رأيٍ عامٍّ وطنيٍّ جديد. ولستُ ممّن يضع جميع القنوات في سلّة واحدة. ولستُ ممّن يغضّ العين، بحكم كوني ابن المهنة، عن جملة الإكراهات الموضوعيّة، التّي حالت دون أن تكون قنوات كثيرة في "المستوى" باللّغة الشّعبيّة. ولستُ ممّن يُنكر أنّ كثيرًا من قنواتنا الخاصّة أفرزت لنا وجوهًا موهوبة في التّنشيط والإعداد والإخراج والتّصوير والتّصميم والدّيكور والصّوت والإضاءة، باتت تشكّل منصّة رائعة للدّخول إلى مقام الاحتراف في مجال السّمعيّ البصريّ، إن توفّرت جملة من الشّروط والمناخات والعقود المهنيّة المعفاة من التعسّفات والأمراض المعروفة في هذا الباب.

غير أنّني أقول لكم بكلّ محبّةٍ إنّني لاحظت، خلال الأسابيع التّي رافقتم فيها الحراك الشّعبيّ بعض التّقصيرات، أسمح لنفسي بأن أذكرها لكم، حتّى تتفاودها مستقبلًا، وتكون لانخراطكم ثمار نحتاجها جميعًا، بصفتنا مجموعةً وطنيّة معنيّة بحاضر ومستقبل الوطن.

لقد فتحتم المجال واسعًا لبعض الوجوه لتكون حاضرة في معظم البلاتوهات. أحيانًا إلى درجة الابتذال، من

حيث عدد الفرص، مع الاعتراف بأنّ كثيرًا من تلك الوجوه جديرة ومحترمة وعميقة ونزيهة، في ظلّ تغييب الشّباب، الذّي صنع الحدث في الميدان. بما يجعل هذا السّؤال جديرًا بالطّرح: ما الفرق بينكم وبين المحيط الرّئاسيّ في نزعته لتغييب الشّارع في كلّ المقترحات، التّي قام باقتراحها، وأنتم تكتفون بمشاهد للشّباب المتظاهر، كخلفيّة للبلاتوهات النّخبويّة في استوديوهاتكم المركزيّة؟

ماذا تنتظرون من شباب كان وقود هذا الحراك، منذ لحظة المبادرة، إلى غاية هذه اللّحظة، التّي أريد فيها الالتفاف على مطالبه، وأنتم تركّزون على وجوه "نخبويّة" كانت مساهمتها زهيدةً، في إطلاق الشّرارة، وفي تسييرها في الميدان، بما جعل الرّوح السّلميّة عقيدة شعبيّة، وفي تزويدها بمضامين جديدة، في مقاربة تفاصيل الحراك؟

إنّكم تملكون نخبة من المراسلين المحلّيين لا تقلّ خبرةً وكفاءةً عن خبرة وكفاءة الزّملاء في المقرّات المركزيّة في الجزائر العاصمة، فلماذا تكتفون بتسخيرها في نقل مشاهد المسيرات وأخذ الانطباعات السّريعة، ولا تستغلّونها في فتح حوارات ونقاشات مع الفاعلين الميدانيين في الحراك على المستويات الولائيّة؟

أليس من حقّ الشّابّ الفاعل في تمنراست وتندوف وإليزي وسوق أهراس وتلمسان والبيّض وعنّابة وقسنطينة

والنعامة والمسيلة والجلفة وبسكرة وورقلة وبجاية وبرج بوعريريج على سبيل المثال، أن يدلي بدلوه؟

إنّه من التعسّف، أيّها الزّملاء، أن تُباشروا نقاشاتٍ بخصوص تأطير الحراك، وأنتم لا تمنحون شاشاتكم وميكروفوناتكم لهؤلاء، فتساهموا في تحقيق وبلورة مشروع التّأطير، بعيدًا عن ثقافة الفرض، التّي باتت موضة في فيسبوك، حيث بتنا نتلقّى، في كلّ عشر دقائق، قائمةً بوجوه معيّنة من طرف هذا أو ذاك، في انتفاء واضح للفرق بين المحيط الرّئاسيّ والمحيط الثقافيّ، في باب فرض الوجوه من غير العودة إلى المصدر الشّعبيّ.

ملاحظة: كان الصّحفي الجزائريّ، قبل الحراك، يجد صعوبة في إقناع الشابّ بأن يمنحه تصريحًا، حتّى في عيد الأمّ، فبات هذا الشّاب اليوم يخطف الميكروف ليتحدّث عن إسقاط العهدة الخامسة للرّئيس. راهو حاب يهدر. خلّوه يهدر. وعلى الوجوه المكرّسة، التّي كانت سابقًا تُسأل عن الرّئيس بوتفليقة، فتعطي رأيها في نابوليون، أن تتدثّر بالخجل وتصمت.

سواء تعلّق الأمر بالعدالة في نقل المعلومة ومنح الفرص، التّي تمنح للمنبر الإعلاميّ مصداقيته، أو بالحسّ/ الواجب الوطنيّ والنّضاليّ، فإنّ القنوات الفضائيّة الخاصّة، مطالبة بأن تُعيد النّظر في طريقة مرافقتها للحراك، بمزيد من الانفتاح على وجوهه وجهاته وتوجّهاته. وإنّها فرصة تاريخيّة لها

لتردم الهوّة، بينها وبين الشّارع، الذّي كان يُنادي، ضمن ما يرفعه من شعارات: "وينها الصّحافة"؟

شئنا أم أبينا، لا نستطيع أن ننكر أنّ وجود كثير من القنوات الخاصّة، كان ولايزال مكسبًا للحياة الجزائريّة. وإنّني لاحظت أنّ الشّارع تفهم تأخّرها في البداية عن حراكه، إذ كانت هي نفسها محتاجة إلى من يُحرّرها من قيود متعسّفة فرضتها عليها المرحلة البوتفليقيّة، وآن لها أن تردّ للشّعب فضله، بتطوير رؤيتها إلى مرافقتها لحراكه المجيد.

أدرك أنّ ثمّة إكراهاتٍ ماليّةً وتكنولوجيّةً وإداريّةً، تجعل شغل كثير منكم صعبًا في الميدان. لكنّكم، رغم ذلك، مطالبون بروح الابتكار في تحقيق المرافقة الإيجابيّة والدّيمقراطيّة للحراك، حتّى يُحقق أهدافه، منها تطهير المشهد الإعلاميّ من الأوباش والغشّاش والالتفاف والاستخفاف والبيع والشراء خارج نبل السّوق.

روحي تحيّي الجدير منكم

استعجالات الشّبل

ثمّة معطًى علينا ألّا نغفل عنه، ونحن نستبطئ وصول الحراك إلى أهدافه، هو أنّ الحراك تجربة سياسيّة واجتماعيّة وثقافيّة ومواطناتيّة كبرى، تتعاطى معها أجهزة الدّولة، لا أقصد السّلطة الواجهة، التّي بدأت تتهلهل منذ الجمعة الأولى، بمنطق وريتم مختلفين.

فبالنّسبة لهذه الأجهزة، لا بدّ من تحقيق هدفين من وراء إطالة التّجربة، وفق ما تقتضيه من الزّمن المطلوب. الأوّل هو إعطاء انطباع للشّارع بأنّ خروجه لإسقاط النّظام ليس هيّنًا، بل لا بدّ له أن يتعب ويعرق ويتخوّف على مستقبله ومستقبل أولاده وييأس في بعض المفاصل، وإلّا بات الأمر عادةً لديه، فتعمّ الفوضى في المستقبل.

أمّا الهدف الثّاني فهو استغلال الفرصة للقيام بدراسات لجملة الأفعال وردود الأفعال النّاجمة عن تجربة الحراك، في الدّاخل والخارج لتحيين "النّظرة" إلى المجتمع، الذّي كان شبيهًا بالنّهر الأعمى، الذّي يسري تحت الأرض، فقد كان غير مرصود بشكلٍ كافٍ.

ثمّة عقول كبيرة في علوم الاجتماع والنّفس واللّسانيات ودراسة المزاج العامّ انخرطت في الاشتغال على التّفكيك والتّحليل والمعاينة والاستنتاج والمقاربة، منذ

الإرهاصات الأولى للحراك. ولا أعتقد أنّ الوصول إلى الحلول المرضية، التّي تؤدّي إلى عودة المواطنين إلى بيوتهم، يتعلّق بمدى إرادة السّياسيّ والعسكريّ فقط، بل بمدى استكمال "الأجهزة" (لا علاقة لها بمفهوم الدّولة العميقة) للدّراسات والمعاينات اللّازمة. فمن غير المعقول بالنّسبة لها المرور إلى واقع سياسيٍّ واجتماعيٍّ وحضاريٍّ جديدٍ ومختلفٍ، بما يُشكّل قطيعةً مع الماضي كما يُطالب به الشّارع، من غير تحيين الأحكام والمعطيات المتعلّقة بهذا الشّارع الجديد نفسِه.

في هذا السّياق أيضًا، علينا الانتباه إلى أنّ النّخب السّياسيّة والثّقافيّة والجامعيّة والإعلاميّة، ما عدا فردياتٍ محدودة العدد، أبانت عن عجزٍ صارخٍ في القيام بتأمّل اللّحظة وقراءتها من الدّاخل واستشراف ما سيترتّب عنها من تفكيرات وسلوكات على الأصعدة كلِّها، بما يُشكل منصّة معطياتٍ معرفيّةٍ وعلميّة ورموزيّة نعتمد عليها بصفتنا مجموعةً وطنيّةً في الدّخول إلى المستقبل. وراحت تغرق في اللّحظة، من باب المسايرة لتفادي التّخوين، عوضًا عن تقطيرها، حتّى بتنا نجد فرقًا، من حيث الوعي، بين منشورات ومواقف وانطباعات ومواكبات "المثقف" ومنشورات محرز نتاع باب الواد في آلجي أو فضيل نتاع الجبّاس في برج بوعريريج أو سامي نتاع غومبيطة في سيدي بلعبّاس، لصالح هذا الأخير.

لو لم يكن من مجازر المرحلة البوتفليقيّة إلّا إخصاء النّخب، وإجهاض فرص الإقلاع المعرفيّ والثّقافيّ، لكانت جديرةً بأن يثور الشّارع عليها، ويُرغمها على الرّحيل.

قاع الفنجال

في هذا الحراك، مقابل قلّةٍ تخسر، ثمّة كثرة تتعلّم (شعبًا وأجهزةً). فلا داعي للاستعجال.

وردة للجلّاد

سنخسر كثيرًا إذا تأثّرنا برسالة الرّئيس السّابق عبد العزيز بوتفليقة، التي أعلن فيها استقالته. وانخرطنا في الدّعوة إلى «رحمة شيخوخته». من ذلك دعوة البعض إلى منحه فرصة تدشين المسجد الأعظم.

وممّا سنخسره أنّنا سنجعل شعاراتنا السّابقة بلا معنى. وسنميّع مطلب محاسبة رؤوس الفساد، إذ ليس منطقيًّا أن نحاسب اللّص ونسامح راعيه. وسنجرح مشاعر جيل كامل ولد خلال عهداته الأربع، وهو الجيل الذّي قام الحراك على أكتافه في الميدان. وسنترك باب الجرأة على الشّعب مفتوحًا للرّئيس القادم، بل إنّنا سنزوّر التّاريخ، نحن الذين ثرنا ضدّ التّزوير.

يكفيه منّا أنّنا لم نسجنه مثل حسني مبارك. ولم نُخَوْزِقْهُ مثل معمّر القذافي. ولم نعدمه مثل صدّام حسين. ولم نقتله مثل علي عبد الله صالح. ولم نطرده مثل زين العابدين بن علي. بل إنّ مجرّد التّفكير في ذلك لا يروق حتّى لمن بلغ الفطام منّا.

أرغمناه على الاستقالة فاستقال. ربّي يسهّل عليه. ويوم يموت وإن طالت سلامته، مثل كلّ بن أنثى، سنعامله على أنّه رئيس سابق ونقوم بالواجب معه احترامًا لأعراف الدّولة، مثلما فعلنا مع سابقيه ربّي يرحمهم.

شخصيًّا كنت سأتفهّم الدّعوة إلى «رحمة شيخوخته»، لو أنّه رحم شعبه، في أيّامه الأخيرة على الأقلّ. فأقال عبد القادر بن صالح، ووضع مكانه وجهًا حقيقيًّا. وأقال حكومة بدوي ووضع مكانها حكومة حقيقيّة، حتّى يكون تطبيق المادّة 102 من الدّستور ذا جدوى، أمّا أن يستقيل ليضعنا أمام الأمر الواقع، فليواجه هو الآخر الأمر الواقع.

ڤاع الفنجال

ما نبوسك ما ندوسك.

خطبة خارج منبر الجمعة

لقد قلبنا الأوضاع، فصار المحلوم به حقيقة تعاش. وهل الثّورة الّا تأسيس لأوضاع محلومة؟

إنّ الشّاب الذّي كان يدخل السّجن، فلا يدخل عليه إلّا شابّ مثله، صار يدخل عليه رجل أعمال بصفة ناهب أموال! وإنّ الشّعب الذي كانت توزّع عليه كمشة محافظ مدرسيّة وسكنات اجتماعيّة وقفاف رمضانيّة، باسم فخامة الرّئيس، بينما تذهب ملايير الدّولارات إلى حسابات العصابة، صار يًسمّى فخامة الشّعب، وصار يرغمه على الاستقالة ويزيد عليها استعطافًا بأن يغفر له.

وإنّ الشابّ الذي كان يركب الموج ليلتحق بجنّة أوروبّا، صار وجوه السلطة يركبون موجته، فتعترضهم نار رفضه. وإنّ الجيش الذي كانوا يستعملونه لترهيبنا، صار يكافح من أجل أن يصدّ عنّا إرهابهم.

وإنّ صفة الوزير، التّي كانت تعطى بالملايير، في حكومات تستثمر في نوم الجماهير، صارت تعرض في المقاهي والمواخير، فلا تجد من يقبل بها إلا من خفّ وزنه في ميزان العقل، لأن الشّعب جعل من الرّفض عقيدة.

إنّنا على بعد خطوة من المستقبل. وإنّ عرّابي الإجهاض، في الدّاخل والخارج، على أهبة إعادتنا للماضي،

فلنجعلهم يصطدمون بوحدتنا ومحبّتنا ووعينا وإرادتنا في التّغيير. ولنعلم أن ذهاب ريحنا في تخلّينا عن سلميتنا.

من رأى منّا حاملًا لشعار فئويّ أو مناطقيّ أو أيديولوجيّ، فلا يتعرّض له بالضّرب أو بالشّتم، فإنما فعل ذلك ليحصل له ذلك، ويصبح حديث القنوات، التّي يصرف عليها خصوم حرّيتنا.

أزعجناهم بسلاح السّلميّة، فلنعزّزه بسلاح السكوت على دعاة العنف، برفع مطالب لم يحن موعدها. وهكذا نضمن ألّا ينتقلوا من الشّعارات إلى العيارات.

قوموا إلى مسيراتكم يرحمكم الله. الكتف عند الكتف والشّعار عند الشّعار. ولا تتركوا فرجة لأكلة الكاشير وشاربي بول البعير وصاحبات الصّدر الصّغير. الثّالوث الذي ثبت تاريخيّا أنّه يشذّ عن الصفّ، ويميل إلى الاصطفاف، كلّما نادى داعي الصّندوق الشّفّاف.

قاع الفنجال

ما أجمل الجوّ هنا

يا رفقتي وأبدعه.

أنهار بصيرة

كتبتُ سابقا أنّ هناك أكثر من طرف يتعلّم من تجربة الحراك. ويأتي الشّعب في مقدّمة هذه الأطراف. حيث استطاع أن يتجاوز جملة من الفخاخ، التّي كانت مؤهّلة لأن تجعل حراكه يُخنق في المهد، بما يُتيح للمنظومة السّابقة، أو التّي ستصبح سابقةً قريبًا، ذلك أنّ استقالة الرّئيس لا تعني زوال بصماته ولمساته وبُيوضِه، أن تستمرّ في الفعل، تمامًا كما استطاعت فرنسا أن تستمر في مفاصل الحياة الجزائريّة، بعد عام 1962، من خلال البيوض التّي تركتها في تربة الاستقلال.

لقد تفطّنت قوى الحراك مبكّرًا إلى فخّ التّمثيل، الذّي كان مطلبًا من الجماعة البوتفليقيّة، وبعض الوجوه، التّي لم تفهم الحراك من الدّاخل، فراحت تدعو إلى ذلك أيضًا. فأفشلت الفطنة الشّعبيّة الفخّ، الذّي كان يهدف إلى خنق الحراك، باختزاله في وجوهٍ مؤهّلةٍ لأن تخون الاتجاه، أو تتعرّض للضّغوط بما يحملها على تنازلات مخلّة، تمامًا كما حدث في تجاربَ سابقةٍ، وجعلت رموزه في مهبّ الرّيح، في مقدّمتها السيّد لخضر إبراهيميّ، الذّي حفر قبره بيده.

لقد كان رفض التّمثيل مبرّرًا، في ظلّ حكم العصابة. ذلك أنّ التّفاوض معها كان سيُعطيها شرعيّة للاستمرار. فهل بقي مبرّرًا الآن، بعد أن أصبحت المؤسّسة العسكريّة هي التّي

تمثّل الجهة الدّستوريّة الوحيدة في السّلطة، بموافقة الحراك نفسِه؟

إنّ تأمّلًا بسيطًا في مسيرات الجمعة السّابعة، يُلاحظ جملةً من السّلوكات، التّي لم تكن موجودة في السّابق، من باب رفض مشروع التّمثيل، منها أنّ المتظاهرين لم يكونوا يتفاعلون مع الأفراد، الذّين كانوا يحملون مكبّرات الصّوت، ويُطلقون شعاراتٍ عبرها (رمزيّة الصّوت الموحّد). أمس حدث العكس في معظم المسيرات. كما أنّنا لم نكن نلاحظ، خلال المسيرات، أحاديثَ ونقاشاتٍ بين المتظاهرين. أمس لاحظنا ذلك قبل وأثناء وبعد المسيرات. بما يضعنا أمام هذا السّؤال: هل الحراك بصدد التوجّه إلى الاقتناع بإفراز ممثّليه من داخله، في ظلّ التّطوّرات الجديدة؟

شخصيًّا لا أرى أنّ العيب في إعطاء ضوءٍ شعبيٍّ للمؤسّسة العسكريّة بالتدخّل، في هذا الظرف بالذّات، وقد بدأ تدخلها يُؤتي ثمارًا لصالح الحراك، في اتجاه تفكيك أوصال العصابة، بل في ترك المؤسّسة العسكرية تنفرد بتعيين الوجوه، التّي تشرف على المرحلة الانتقاليّة، بعد إزاحة الباءات الثّلاثة، إذ سيكون ذلك مقدّمةً لخروجها من مقام المرافقة إلى مقام التّوجيه، وهذا ما ينبغي أن نرفضه، حفاظًا على مدنيّة المسعى.

من هنا، على قوى الحراك أن تخلق، من داخلها وبتخطيط منها، آليةً ناجعةً لفرض نفسها طرفًا وحيدًا يعمل

على فرض الوجوه، التّي ستشكّل المؤسّسات الأربع المشرفة على المرحلة الانتقاليّة: الرّئاسة والحكومة والمجلس الدّستوريّ وهيئة الانتخابات.

قاع الفنجال

رافقني باسم الأخوّة الوطنيّة والمادّة 28 من الدّستور. لا أن تكون خليفة بوتفليقة في التحكّم في مرفقي.

الوردة والرّونجاس

إنّ العودة إلى السّياق النّفسيّ والأمنيّ والسّياسيّ، الذّي سبق انطلاقة الحراك وتلاها بجمعتين، تجعلنا ندرك أنّ الجزائريّين، الذّين خرجوا للمطالبة بإسقاط العهدة الخامسة، ثمّ رفعوا سقف المطالب إلى «يتنحّاو قاع»، كانوا مغامرين بمصالح كثيرة منها سلامة أرواحهم، بالنّظر إلى أنّ المؤشّرات كلّها كانت تقول، حينها، بإمكانيّة إطلاق النّيران بكلّ معانيها.

أي أنّ هناك تسبيلًا بالنّفس والنّفيس من طرف الجزائريّين، يجعلهم يعاملون حراكهم بصفته وليدَهم، الذّي خرج من بين الأصلاب والتّرائب.

هل لاحظتم كيف ينتفض الجزائريّ، حين يسمع من يقول إنّ الحراك موجّه، تمامًا كما ينتفض أب يقال له إنّ الطّفل ليس ولدَك؟

لقد جعلهم هذا الحراك النّابع من أشواقهم للتحرّر من قيود عصابة جهنّمية دفعت بهم إلى اليأس، ودفعت ببلادهم إلى الإفلاس بكل تجلّياته، يشوفون رموزَها ينهارون أمامهم، بما مكّنهم من تذوّق لحظة عميقة في حياة الشّعوب، هي الانتقام من اللّئام. وقد كان الجزائريّون نبلاءَ إلى حدّ بعيد في انتقامهم، فاكتفوا بطلب المحاسبة، ولم يدعوا إلى إزهاق النّفوس وقطع

الرّؤوس، وقد كانوا مستعدّين، في البداية، لأن يتركوا رموز العصابة يذهبون بلا محاسبة، لو أنهم انسحبوا مبكّرًا.

من هنا، على المؤسّسة العسكريّة أن تدرك أنّ الجزائريين لم يأتمنوها على مستقبل حراكهم (وليدهم) من باب الخوف منها، أصلًا انتفضوا ضدّ سياسة التّخويف، وحرّروها هي نفسها من الخوف، مثلما حرّروا قطاعاتٍ كثيرة، بل من باب الثّقة فيها، في لحظة عزّ فيها الموثوق وكثر المشكوك. وهذا ما يفسّر شعارهم "الجيش.. الشّعب خاوة".

وإنّها مطالبة، اليوم، بأن تطمئنهم على أنّها سوف لن تحلّ محلّ العصابة في مستقبلهم السّياسيّ، من خلال الترشّح أو التّرشيح، فيفوّتوا فرصة تاريخيّة للانعتاق، ويصبحوا مضحكة، بعد أن أصبحوا نموذجًا ومثالًا.

فما الذّي يمنع المؤسّسة العسكريّة من أن تعلن صراحة التزامها بمدنيّة الدّولة القادمة، فلا ترشّح وجهًا من داخلها أو من خارجها للانتخابات المنتظرة، كما كانت تفعل في السّابق؟ ذلك أن لها رصيدًا غنيًّا في هذا الاتجاه، منذ اللّحظة الأولى للاستقلال؟

شخصيًّا أنتظر إعلانًا صريحًا منها. سواء عن طريق مجلّة الجيش أو في بيان مكتوب أو في تصريح لرئيس الأركان. فإن لم تفعل، قسّمت الحراك بين مساند لتدخلها خضوعًا للخوف من اللحظة، ورافض له خوفًا على مدنيّة المستقبل،

فتكون بذلك عاملَ تمزيقٍ، من حيث يريدها الشّعب أن تكون عاملَ توحيد.

كما أرى أنّه على قوى الحراك، مثلما وافق قطاع واسع منها على مرافقة المؤسّسة العسكريّة، بالنّظر إلى وضع خاصّ، فرضته طبيعة الصّراع مع العصابة، المطالبة الملحّة بهذا الالتزام الصّريح.

هكذا نضمن مؤسّسة عسكريّة محترفة، من خلال التزامها بالثّكنة، ومؤسّسات مدنيّة محترفة، من خلال التزامها بالصّندوق، فتشكّلان معًا جناحي طائر الجمهوريّة الجديدة.

ڤاع الفنجال

خاوتنا العسكر. خلّونا نبنوها على الصّح.

تيفو الشّبل

كثيرة هي الوجوه الثّقافيّة والسّياسيّة والإعلاميّة التّقليديّة، ذلك أنّ تجربة الحراك أسّست/ تؤّسس لمفهوم جديدٍ للأفعال الثّقافيّة والسّياسيّة والإعلاميّة، ومن لم يفهم ويُواكب سيكون مشمولًا بحكم "يتنحّاو قاع"، لم تتجاوز في مواكبتها للحدث مقام التخوّف (الدّور الفطريّ للعجوز وهي ترافق أحفادها، فتكتفي بالجلوس في الشّرفة حتّى تتصيّد أخبارهم) إلى مقام التشوّف (مقام العارف الذّي يستطلع الأفق ويقترح ما يُسرّع قدومه بلا انزلاقات). ولم تتّعظ بمعطًى صارخٍ على مدار الجمعات السّبع، هو أنّ كلّ التخوّفات، التّي تبديها خلال أيّام الأسبوع، تمحوها مسيرات الجمعة. بما يُظهر أنّ النّخب في بقعةٍ والحراك في بقعةٍ مغايرة.

لاحظتُ، مثلًا، أنّ كثيرًا من هذه "النخب" تعاملت مع لفتة "قصر الشّعب" في مدينة برج بوعريريج، من زاوية الخوف فقط من انهيار المبنى، وإمكانية حدوث كارثة. وكأنّ السّلطات الولائيّة لم توفد خبراءَ لمعاينته والتأكّد من قدرته على التحمّل، أو أنّ النّخبة الشّابّة المؤطّرة للحدث لم تتّخذ الإجراءات المانعة لأيّ تدافع. ولم يتعدَّ تعاطي هذه "النّخب"، مع لفتة شباب البرج، ولفتات شبابٍ آخرين في مدنٍ أخرى، إلى قراءة أبعادها الرّمزيّة، ضمن المخيال العام لفعل الحراك. ذلك

أنّ الحراك الشّعبيّ فعل أثمره وعيّ عامّ، ولا ينبغي أن تكتفي النّخبة، حتّى تبرهن على أنّها نخبة جديدة بالمرور إلى الغد الجديد، بالتّفاعل معه من باب الانفعال.

ثمّة قصر الشّعب لا يدخله الشّعب في الجزائر العاصمة، فقد ظلّ فضاءً مغلقًا على الوجوه الرّسميّة، في عهد الأتراك، الذّين بنوه عام 1748، وفي عهد الفرنسيين، ثمّ في عهد الرؤساء الجزائريين، بعد الاستقلال. وثمة "قصر الشّعب" في برج بوعريريج لا تدخله رموز السّلطة إلا لتداس رمزيًّا، في الشّعارات المنطوقة والمكتوبة، من طرف الشّباب، الذّين أرادوا أن يعيشوا لحظة علوٍّ، من خلال اعتلاء المبنى، الذّي هو هيكل مختلف على ملكيته، بما أسّس لمفهوم "فخامة الشّعب".

ولأنّ الحراكيين رفضوا، منذ البداية، فكرة التّمثيل، حين كان الطّرف المؤهّل لأن يكون مفاوضًا لهم هو العصابة، فقد عمدوا إلى إسماع أصواتهم من خلال سياسة التّكثيف، في شكل شعارات، أقواها "يتنحّاو قاع". وعلينا ألا نغفل اللّحظة التّي طلع منها هذا الشّعار والوجه الشّاب المسحوق، الذّي وقّعه على المباشر التّلفزيونيّ، في لحظة غضب وصرامة. وفي شكل أماكن رمزيّة باتت بؤرًا تجلب الانتباه إليها، مثل "غار حراك" في العاصمة، و"قصر الشّعب" في برج بوعريريج.

ولئن هيمن "غار حراك" وساحة البريد المركزيّ، في الجمعات الأربع الأولى، بحكم البعد الرّمزي للعاصمة وقربها

من عيون الإعلام المحلّي والدّوليّ، فإنّ "قصر الشّعب"، الذّي بات رمزًا لصوت المدينة الدّاخليّة، وليس لمدينة برج بوعريريج فقط، استطاع لاحقًا أن يفرض نفسه هو الآخر، ويكسر المركزيّة العاصميّة، في بعدها المتعسّف، حيث بات واضحًا أنّ ثمّة توجّهًا لاختزال الحراك فيها، حتّى إذا مُنعت المسيرات داخلها يظهر أنّ الحراك مات. وهذا ما أقدمت عليه "حكومة فيشي" أقصد حكومة بدوي.

لقد تحوّلت العبارة والرّسمة المرافقة لها في "التّيفو"، الذّي ينزل من أعلى بناية "قصر الشّعب" في برج بوعريريج، إلى لحظة شعبيّة مكثّفة، فتختصر ما أراد الشّعب قوله بالضّبط، خلال تلك الجمعة، قبل أن يحدث الرّونجاس التّفرقة بتخلّيه عن المطالب الأصليّة للحراك.

قاع الفنجال

ومن دخل "قصر الشعب" فهو آمن.

تغييب الشّبل

كي نفهم علينا أن نشرّح. أي أن نجمع المعطيات الواقعيّة، التّي تفضي بنا إلى حكم يستند إلى المنطق. لأنّنا إذا لم نشرّح، فسنطلق أحكامًا تستند إلى العاطفة. المزاج. الميل الشّخصي. الانتماء الحزبيّ أو الفكري الجاهز. روح الاستعراض. وعلينا الانتباه إلى انّ نسبة كبيرة من الأحكام، التّي يضخّها قطاع واسع من النّخب سياسيّة كانت أم ثقافيّة أم جامعيّة أم إعلاميّة، في خضمّ الحراك، ينتمي إلى النّوع الثّاني: الأحكام الانطباعيّة، التّي تفصح عن الذّات لا عن الواقع.

هذا الواقع يقول إنّ ثمّة تغييبًا، من طرف هذه النّخب، للفاعل الرّئيسيّ للحدث، الذّي هو الشّاب، الذّي دعا بطريقته الخاصّة إلى الخروج يوم 22 فيفري، ثمّ خرج فيه فعلًا بصدر ومطلب عاريين، ثمّ واصل الخروج حريصًا على البعد السّلميّ للخروج. إذ علينا الانتباه أيضًا إلى معطًى مهمّ، هو أنّ هذا الشابّ كان هو الطّرف المؤهّل لأن يمارس التّكسير، بما ينحرف بالحراك إلى المربّع الأسود، لكنّه لم يفعل ولم يترك من أرادوا ذلك أن يفعلوا.

إنّه أيضًا من نظّم المسيرات وأطّرها، بشكل جعلها أعراسًا. وقد كانت قادرة على أن تكون جنائز. وخلق لها شعارات وتعابير فنّية وسياسيّة. الأكثر من هذا صرف عليها من

جيبه الفقير أصلًا. هل تظنّون أنّ المسيرات المليونيّة بلا مصروف؟ على الأقلّ من زاوية الأعلام والماء وأكياس النّظافة وتكاليف النّقل وسترات التّنظيم وتكاليف الهواتف، التّي صوّرت ونقلت الصّور والمشاهد؟ إذ علينا أن ننتبه أيضًا إلى أنّ رجل المال والأعمال الجزائريّ كان، في خضمّ الحراك، بحكم فساد المرحلة البوتفليقيّة، في زاوية المدان الهارب، لا في زاوية الرّاعي المتكفّل.

مع هذا كلّه، لم يجد هذا الشابّ، الذّي أبدع هذا الحراك، ورعاه بقلبه وجيبه وعقله وعضلاته ووقته وأعصابه طرفًا من الأطراف النّخبويّة التّقليديّة من يقول له ميدانيًّا: أنا منك. بل قالوا له: نحن معك. وقد أدرك مبكّرًا، بحسّه ووعيه، أن «معك» تعني المسافة وركوب موجته، فطرحهم بعيدًا عنه كما تطرح الأمواج الأجسام الغريبة عن البحر.

فقطاع واسع من القنوات الإعلاميّة جعلته خلفية في شاشاتها، وراحت تكرّس وجوهًا معيّنة، لم تساهم في تجربة الحراك إلا بقولها إنّها تسانده. بل إنّها لم تزل إلى غاية اليوم، بعد كلّ التطوّرات الحاصلة، تمنح الميكروفون لوجوه ثار هذا الشّاب أصلًا ليقول لها: ديقاج.

وقطاع واسع من الأحزاب، التّي لم تغيّر مسيّريها، منذ كان هذا الشّاب في القماط، اكتفت طيلة أيّام الحراك، الذي

اخترق الجدران، بما فيها جدار العصابة الحاكمة، بالاجتماعات بين الجدران.

وقطاع واسع من المثقفين لم ينزل ليحاوره، ويقوم بدوره المنوط به في إعطاء مضمون فكريّ وثقافيّ للحدث. بل سكن فيسبوك، وراح يغرقه بالانطباعات، التّي صبّت أحيانًا في تتفيه شعاراته وتعابيره، حتّى أن البعض اكتفى بمناقشة هل حاء الحراك مجرورة أم مضمومة؟

وفي الوقت الذي كان فيه هذا الشابّ بحاجة إلى الطّبيب والممرّض، بصفتهما معالجين في ساحات المسيرات، وإلى القاضي والمحامي ليتولّيا تحريك القضايا في المحاكم وتفعيل القوانين، لمحاصرة وجوه العصابة وحماية الثّروة الوطنية، راحوا يتظاهرون في أيّام أخرى من غير الجمعة، وكأنّ الحراك محتاج إلى أعدادهم لا إلى عدّتهم.

في ظلّ هذا الواقع/ الوقائع، لم يجد هذا الشّابّ إلا المؤسّسة العسكريّة في طريقه. تركت التحفّظ الذي يمليه عليها كونها مرؤوسة من وزير الدّفاع، الذّي هو رئيس الجمهوريّة المرفوض من طرف هذا الشّابّ، وقالت له: «نشترك في النّظرة نفسها للمستقبل»، فلم يجد أمامه إلا أن يقبل مرافقتها.

هنا علينا العودة قليلًا.. قليلًا جدا فقط إلى الوراء. ففي الوقت الذّي كان هذا الشّابّ يقاطع فيه الانخراط في انتخابات السّياسيّين ونشاطات المثقّفين ومنابر الإعلاميّين، كان

يرى الانخراط في صفوف المؤسّسة العسكريّة فرصة لإثبات الذّات وضمان المستقبل. أي أنّ نظرته إليها اليوم، بناءً على معاينة منه لما حصل داخلها من تغيّرات بشريّة وثقافيّة، غير نظرة النّخب إليها. وهي نظرة موروثة من ماضي المؤسّسة، خاصّة في التّسعينيات.

هنا نجد أنفسنا أمام هذا السّؤال، حتّى لا نقدّم الفكرة في شكل حكم جاهز: هل شعار «الجيش.. الشّعب خاوة.. خاوة» هو ثمرة طبيعيّة للتّغيير المتوازي، الذّي مسّ ذهنية وتركيبة الشّباب الجزائري، في الحقلين المدني والعسكريّ معًا، فحان الوقت لأن يضع الطّرفان أيديهم في أيدي بعض، لتحقيق إقلاع وطنيّ حقيقيّ؟

إذا صحّت هذه القراءة، فإنّ محاولة اختزال المؤسّسة العسكريّة في شخص رئيس أركانها الحالي، بما يثير الخوف من التفافها على ثمار الحراك، خاطئة تمامًا خطأ محاولة اختزال الحراك الشّعبيّ في بضعة وجوه باتت تثير الغثيان في الشّاشات.

قاع الفنجال

علينا أن نقوم بحراك ضدّ كثير من الأمثال والحكم الشّعبيّة، فننقلب عليها، على ضوء معطيات جديدة في واقعنا. من ذلك: «اللّي غاب صغيرو غاب تدبيرو». و«اللّي نقص عليك بليلة

فاتك بحيلة». هل انتبهت إلى الانقلاب الابستيمولوجي أيّها المثقّف؟

عسل الصّبر المرّ

بتنا نملك خبرة عظيمة في الصّمت على عصابة حكمتنا عشرين سنة. بكلّ ما ترتّب عن صمتنا، من خرابات لحقت بالبلاد والعباد. لذلك لم نعد نملك ذرّة استعداد لأن نستمرّ في قبول بقاياها، بعد أن صحونا.

وها نحن بصدد فرصة امتلاك خبرة عظيمة في كيفية إزالة عصابة فاسدة ومفسدة من حكمنا، بكلّ ما يترتّب عن ذلك من مكاسب للبلاد والعباد.

الوسيلة في اكتساب الخبرة الأولى: الصّبر

الوسيلة في اكتساب الخبرة الثّانية: الصّبر.

الفرق بين الصّبرين: في الأولى صبرنا مع يأس كبير. في الثّانية صابرون مع أمل كبير.

التّجربة الشّبيهة في ماضينا: ثورة التّحرير. إذ ملك أجدادنا خبرة في الصّبر على الاحتلال الفرنسيّ. وخبرة في كيفية إزاحته.

أوجه المقارنة: هم حرّروا المكان من قبضة الاحتلال. ونحن مطالبون بأن نحرّر الإنسان من قبضة أتباعه.

هم كانوا مطالبين بأن يكونوا «عنيفين» حتّى يحقّقوا هدفهم. وحين جنحوا للسّلم فقدوا شطرًا من الاستقلال، فامتدّ فيه شطر من الاحتلال، بينما نحن مطالبون بأن نبقى

سلميين، فإذا نجحوا في دفعنا إلى العنف، سيبقى شطر من العصابة في مستقبلنا.

إشارة لغويّة: العصابة تعني الجماعة القليلة الموحّدة. الشّعب يعني الجماعة الكثيرة المتعدّدة. فإذا وقعت الكثرة والتعدّد في الاستعراض المذهبي واللّغوي والمناطقي، ذهبت القوّة إلى الجماعة الموحّدة حتّى وإن قلّت.

إشارة استراتيجيّة: نحن لا نملك من يمثّلنا بينهم، لأنّنا كرهناهم وعزلناهم، بينما يملكون من يمثلهم بيننا، لأنّهم متمسّكون بالتّحكم في رقابنا. ومن أخطاء الحراك تفاعله مع تحرّكات وجوه العصابة الفوق، وغفلته عن تحرّكات ممثّليها في أوساطنا.

قاع الفنجال

ربحنا معركة العواطف. لأنّهم قوم بلا عاطفة. فلنربح معركة العقول، فهم شلّة تفكّر ويُفكّر لها.

نظّارات سوداء

الفريق أحمد قايد صالح

عليك أن تعتذر للباءات الثّلاثة، على أنّك وصفتهم بالعصابة، في خطاب سابق. ما جاياش يا كبير الجيش، ما دمت صرّحت في خطابك في وهران بأنّهم يمثّلون المسار الدّستوري.

أمّا نحن فلن ننتظر منك أن تعتذر لنا على أنّك لم تفرض تفعيل المادّتين السّابعة والثّامنة من الدّستور. فقط نطالبك مستقبلًا بأن تنسجم وتحترم هذا الدّستور، الذّي لا يمنحك الحقّ في أن تطلب فتح تحقيقات في ملفّات الفساد، لأنّ ذلك من اختصاص الحكومة. أم أنك نبت عنها، مستغلًّا ثقة قطاع واسع منّا فيك، في ظلّ انعدام ثقتنا فيها، في توزيع مسكّن هو القول إنّ العدالة باتت مستقلّة وإنّها ستباشر مهمّة متابعة الفساد والفاسدين؟

كيف تريدنا أن نصدّق هذا، والوزير المشرف عليها غير شرعيّ، لأنّه عضوّ في حكومة عيّنتها العصابة، التّي قام الحراك أصلًا لإزاحتها؟ سيصبح الإبقاء على الملفّات، التّي ذكرتها طيّ التأجيل مطلبًا شعبيًّا، إلى غاية استرجاع الجمهوريّة وبنائها على أسس صحيحة، حتّى تتمّ تصفية هذه الملفّات على أسس صحيحة.

السيّد رئيس الأركان

إذا تراجعت أنت عن وعدك لنا بتعزيز المادّة 102 بالمادّتين 7و8 من الدّستور، فلن نتراجع نحن عن شعارنا «الجيش.. الشّعب خاوة.. خاوة». قلت الجيش ولم أقل قيادة الأركان. وعليه نطالب بالكشف عن تفاصيل التّحقيق المتعلّق بسقوط طائرة إخوتنا في بوفاريك، ربّي يرحمهم ويوسّع عليهم، بعد مرور عام بالضّبط على استشهادهم.

لقد أثبتت لنا المؤسّسة العسكريّة، على مدار عقود الاستقلال الوطنيّ، الذّي تأكّد لنا، بمناسبة حراكنا المجيد، أنّه ناقص سياسيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا، أنّها وفيّة لحماية الحدود، كما هي وفيّة لمرافقة النّظام، حتّى وإن كان ضدّ الشّعب، لذلك أثق شخصيًّا، حتّى لا أتحدّث مكان غيري، في أنّها ستحمي حدودنا، لكنّني سأعفي نفسي من انتظار أن ترافق مطالب الشّعب.

قاع الفنجال

لم تخرجونا حتّى تستطيعوا أن تدخلونا. ولم تروا منّا غير السّلميّة حتّى تطلبوا منّا الهدوء.

وساوس العمامة

لكلّ فعلٍ ردودُ أفعالٍ تصبح أفعالًا ذاتَ تأثير إذا وجدت من يُصدّقها ويعمل بها. بعضها نابع من الخوف على الفعل، والبعض نابع من الخوف منه. وكذلك حصل ويحصل في الحراك بصفته فعلًا

ولقد رصدتُ جملة ردود الأفعال النّاجمة عن فعل الحراك السّلميّ، في شكل عواطفَ ومواقفَ ومخاوفَ، فوجدتُ "أجْيَحَها" القولَ إنّ الصّندوق إذا كان شفّافًا، فإنّه يمنح الحكم للإسلاميين في الجزائر. وإنّنا سنعيد سيناريو التّسعينيات لا محالة.

ومردّ جياحة هذا المسعى إلى أنّ أصحابها يقفزون على جملةٍ من التّحوّلات، في ذهنيّة وسلوك الجزائريّ، الذّي أظهر أنّه راجع علاقته، ليس بالإسلام السّياسيّ فقط، بل مع كلّ الأيديولوجيات، فصار يميل إلى المواطنة والرّوح المدنيّة أكثر من ميله إلى التمذهب. وهذا ما كان جليًّا في مسيراته السّبع، منذ 22 فيفري الفائت، من حيث مظهره وشعاراته وأفعاله وردود أفعاله.

ثمّ هل تشكّل الحراك بهدف فرض سلطة الصّندوق الشّفّاف، بغضّ النّظر عن لون الاسم الذّي يُفرزه، كردّ فعلٍ على التّزوير الممنهج، الذّي كانت المرحلة البوتفليقيّة والمراحل

التّي سبقتها، تُمارسه وتفخر به فوق ذلك، أم لاستلام مشعل التّزوير منها؟

إنّ ما ينبغي أن نخافه ونتخوّف منه اليوم، فنعمل على أن نحول دون وقوعه، هو أن يُفرز الصّندوقُ النّظامَ البوتفليقيَّ من جديد. وهذا ما دفعنا إلى رفض الباءات الثّلاثة، لأنّ إشرافها على العمليّة الانتخابيّة، سيُؤدّي بالضّرورة إلى ذلك. أمّا أن يكون الصّندوق شفّافًا ويُفرز رئيسًا إسلاميًّا، فسنقبله لأنّه ثمرة طبيعيّة للاختيار الشّعبيّ، وإلّا ما معنى الدّيمقراطيّة، التّي خرجنا نادي بها؟ وسنراقبه ونضغط عليه، ويُناضل الرّافضون منّا لتوجّهاته، لأجل استبداله انتخابيًّا بغيره، من غير الاستنجاد بالعسكر لحصول ذلك، وإلّا ما معنى الحراك الشّعبيّ؟

قناعتي الشّخصيّة أنّ بروز التّخويف من هيمنة الإسلاميين على مستقبلنا الانتخابيّ، هو واحد من أساليب البقايا البوتفليقيّة، لاستحلاب الدّعم الغربيّ، ولإقناعنا بما تُسمّيه المسار الدّستوريّ بصيغة المادّة 102 وحدها. وكأنّ عودة أحمد أويحي، التّي ستصبح ممكنةً إذا استمرّت الباءات الثّلاثة في الإشراف على المرحلة الانتقاليّة، أفضل من صعود الإسلاميين.

ثمّ هل نسي البوتفليقيّون أنّه من أقبح سياساتهم في العقدين الأسودين، اللّذين حكمونا فيهما، تصحيرهم للسّاحة السّياسيّة، بكلّ أطيافها، بما فيها الطّيف الإسلامي القابل للعمل السّياسيّ، في مقابل تحالفهم مع الطّيف الإسلاميّ الرّافض له،

فقط لأنّه ضمن لهم تحريم الخروج عن الحاكم والإضرابات والنّقابات؟ حتّى أنّهم سكتوا على تكفيره لشطر كبير من الشّعب الجزائريّ، بما كان قادرًا على تفتيت الوحدة الوطنيّة وتهديد الأمن القوميّ؟

قاع الفنجال

من مضحكات المرحلة أن يُخوِّف الخاضعون للكادر الشّعبَ الذّي يُريد أن يخضع للصّندوق.

الرّئيس الغائب عن موعده

السيّد عبد القادر بن صالح

أنت أكثر رؤساء الدّول حظًّا مع شعوبهم. دعوت الهيئة النّاخبة لتكون حاضرةً يوم الرّابع من جويلية 2019، فاستجابت لك يوم 12 أفريل. شفت شحال نحبّوك؟

لقد واكبت كلّ الانتخابات، التّي عرفها الاستقلال. ولا شكّ في أنّك لاحظت أنّ نسبة المقاطعة في انتخابات أمس كانت طفيفة جدًّا. ذلك أنّ الهيئة النّاخبة خرجت على بكرة باباها وجدها وخالها وعمّها ونسيبها. هاذي وين تصيبها؟

ما أدهشني يا صاحب الفخامة، ولا تلمني على نزع النّقطة من الخاء، لأنّ شعبي بات يتحسّس من إثباتها، والعاقل يتحاشى ما يثير حساسيّة الشّعب، حتّى لا يذهب ضحيّته، أنّني لم أشاهدك أمس في ساحة الانتخاب! مثلما يفعل الرّؤساء جميعًا! حتّى صاحبك المستقيل، كان يخرج يوم الانتخاب مع أطفال شقيقه، ليؤدّي واجبه الوطنيّ، رغم أنّه كان عليلًا! كيف تدعو الهيئة النّاخبة، فتحضر هي وتغيب أنت؟ إنّ شعبك العزيز زعفان عليك بسبب غيابك.

أنت رجل عاش العقود الثّمانية الأخيرة. وهذا لم يتح لمعظم الهيئة النّاخبة، التّي استجابت لدعوتك أمس، فثلثاها مصاغر في عزّ الشّباب. ولا شكّ في أنّك تملك النّضج الكافي،

الذّي يجعلك تدرك ما معنى أن يزعف عليك الشّعب. فما أنت صانع يا صاحب الفخامة؟ لديّ حلّ رائع لك: الاستقالة.

ڤاع الفنجال

تبقى الدّولة وتروح نت.

عسل الانتماء

ذهبت مع البنات إلى حديقة التّسلية في برج بوعريريج. فوجدتها مختلفة عنها في المرّات السّابقات، من حيث كثافة المقبلين عليها، وطريقة تعاملهم مع بعضهم.

إنّ الذّي يعرف البرج في السّابق، يعرف أنّ الأسرة البرايجيّة شغوفة بالخروج إلى المروج، ومنه جاءت احتفالية "شاو ربيع".

وما لاحظته هذه السّنة أنّ الإقبال على حديقة التّسلية، داخل المدينة، كان أكبرَ من الإقبال على الخلاءات خارجها. وأن المسافات بين الأسر كادت تنتفي فيها.

لاحظت ذلك أيضًا في حديقة سطيف وحديقة المسيلة، فكأنّ الأمر يتعلّق بحضور عرس عائليّ لا بدخول حديقة عامّة. ممّا يؤشّر على أن ثمّة ميلًا من الجزائريّين، هذه الأيّام، إلى اللّحمة، من باب أنّهم اكتشفوا حلاوة انفتاحهم على بعضهم، بعد سنوات غفلوا فيها عن لحمة العصابة الحاكمة، وأكلوا فيها لحوم بعضهم. ومن باب تفادي إحساسهم بالخوف على مستقبلهم، بأن يكونوا جنبًا إلى جنب.

تجلس الأسر بالقرب من بعضها/ تتبادل المأكولات والمشروبات/ تتفاعل جماعيًّا مع الأغاني، التّي تبثّها منصّة الموسيقى في الحديقة/ تبدي الحماس مع كلّ الطّبوع/ تتعامل

حميميًّا مع كبيرات السنّ/ قلةّ نهر الأطفال وتعنيفهم/ تفاقم مشاركة الأولياء لأطفالهم في الألعاب الخاصّة بهم/ تشارك أفراد من أسر مختلفة في ركوب المقصورة الواحدة في العجلة الكبرى، وفي قوارب البحيرة.

اختفاء وقاحة الشّباب في التّعامل مع الشّابّات/ اعتداد الفتاة في تحرّكاتها وتصرّفاتها داخل الفضاء/ النّقاش بين الجميع في راهن البلاد/ التّرحيب البليغ بالأسر القادمة من خارج الولاية/ انتقال السّؤال من الحالة الخاصّة إلى السّؤال عن واقع الحراك/ الانضمام العفويّ لكلّ سيلفي جماعي/ عدم الاعتراض على التّصوير/ تبادل الفيديوهات التّي أثمرتها المرحلة والتّفاعل الجماعيّ معها/ الغياب التامّ لتداول اسم بوتفليقة.

بغضّ النّظر عن المآلات السّياسيّة للحراك، فهو وقّع مكاسبَ اجتماعيّة وثقافيّةً وحضاريّةً مهمّةً جدًّا على مستوى الشّارع، بما يُهيّئ لمجتمع مدنيّ حقيقيّ يتوجّه نحو التّكامل والتّماسك.

ولا شكّ في أنّ هذا الواقع الجديد سيُفرز فعاليات سياسيّة واقتصاديّة وإعلاميّة وثقافيّة مبتكرة، تكون بديلًا للواجهات المزيّفة والمتواطئة القائمة الآن، فهي أيضًا ستكون مشمولة مستقبلًا بمقولة «يتنحّاو قاع» بشكل عفويّ، من خلال

المقاطعة الشّعبية الواعية، لذلك فهي تتموقع ضدّ التّغيير، من غير أن تعلن ذلك صراحةً.

يحدث ذلك، في مقابل فقدان السّلطة للقيم الأخلاقيّة والوطنيّة والسّياسيّة، بما جعلها معزولة ومهزوزة، فلم تجد بدًّا من اللّجوء إلى استعمال القوّة، تمامًا كما يفعل أيُّ كائنٍ يُحشر في الزّاوية الضّيّقة

قاع الفنجال

ينتصر الشّعب المسالم، حين تلجأ السّلطة إلى القوّة الدّالة على ضعفها.

دموع الشّبل

ما الذّي حصل، في الجمعة الثّامنة، حتّى ردّد شباب الحراك الأناشيد الوطنيّة وهم يبكون، وقد كانوا يُردّدونها في الجمعات السّبع السّابقة وهم يبتسمون، حتّى سُمّيت ثورتهم بثورة الابتسامة؟ أنا نفسي كنت أردّد "قسمًا" و"من أجلك عشنا يا وطني" ممتلئًا بنشوةٍ وفرحٍ طائرين، فكأنّني أكتشفهما للمرّة الأولى، لكنّني وجدت دموعي تخرج مع الكلمات والهتافات، خلال الجمعة الثّامنة في برج بوعريريج.

تلفَّتْ لسعيد وْليد حومتي لقيتو يبكي هوّ ثاني. قالّي وحْنا مروحين بلا ما نصقصيه علاش بكى: "بكيت لخاطر ضربو خاوتنا في آلجي. حشروهم فالغار وضربوهم بالكليموجان. كانوا قادرين يتخنقو يا جدّك وفيهم الذّراري والنّسا والشّيوخة! بكيت لخاطر تعبت باش قنعت روحي ما نكسّرش ونكون سلمي على جال بلادي. بدات السّلمية سلاح ورجعت ثقافة. وراني نشوف فيهم يحوسو يرجعوني عنيف. الحكومة اللّي تحرّض عالعنف ما عندهاش علاقة بالدزاير يا رزيق، كيما المرا اللّي تحرّض بنت راجلها على الرّذيلة وتقول عليها بنتي.

بكيت لخاطر في لحظة عطالي الجيش أمل وخلّاني نشوف الحل قريب، من بعد يقولّي باللّي ما عنديش حل غير أنّي

نقبل الشّي الموجود. بكيت لخاطر شبابي كلّو كان مع رايس اكتشفت فاللّخر باللّي جا باش يمحيلي شبابي.

فالحقيقة يا خويا حنا درنا غلطة كبيرة. لتينا بإعاقة الرّايس ونسينا الإعاقة اللّي سبّبها للبلاد. جابلي ربّي ما بقاش حي للخاطر كان ياكل الدوا. بقى حي لخاطر كان يستمتع كيشوف الدزاير تتعوّق، وإلا كيفاش يخرج ويخلّيها معلقة في راس الكاف؟

كان يتحدّث في غضب ممزوج بالهدوء! أليس هذا هو المقام العجيب، الذّي بات الشّابّ الجزائريّ يعيشه؟ حيث قمّة الغضب تعانق قمّة الإيمان بالسّلميّة؟ وإنّ السّلطة التّي أشادت بالسّلميّة في بدايات الحراك لتتفادى الغضب، باتت اليوم تستفزّ غضب الشّباب لتتفادى السّلميّة. وعلينا الانتباه إلى هذا التحوّل، وإلّا وقعنا في فخّ العنف، الذّي لن يخدم سواها.

فجأةً صاح سعيد حتّى التفت إليه الشّارع (لم يعد الشّارع يلتفت إلّا لشبابه): وراس مّا غير ندير كيما قال الرّسول: «كنزعف نقعد فلّرض». وما نعطيهمش فرصة باش نكسّر حتّى يطيحو.

ڤاع الفنجال

وراس مّا غير نامن بسعيد صاحبي. وما نامنش ببن صالح صاحبهم

كم أصابع اليد الواحدة؟

الدّكتور فارس مسدور

لا أحبُّ الوصاية على نفسي. ولا أحبّ أن أمارسها على غيري. فخذ ما سأقوله لك من باب النّصيحة لا الوصاية بارك الله في أيّامك.

لقد تحوّلتَ إلى أيقونة، خلال أيّام الحراك هذه. يتداولها الشّباب، في مواقع التّواصل الاجتماعيّ، كما يتداولون أيفوناتهم، حتّى أن بعضهم لو خيّر بين أن يشاهد فيديو يوجد فيه هو وفيديو توجد فيه أنت، لاختار الفيديو الثّاني.

غير أنّه يؤسفني أن ألفت انتباهك إلى أنّ السّخريّة هي ما يغلّف تداولهم لخرجاتك. وقد أبدعوا منشوراتٍ وصورًا وفيديوهاتٍ هي ثمرة لتلك الرّوح السّاخرة منك.

هنا، عليك أيّها الدّكتور الإمام، أن تضع نفسك أمام هذا السّؤال: هل كان ردّ فعل قطاع واسع من شباب الحراك منك، حتّى لا أعمّم فأتعسّف، ثمرةً لوقوفهم على خواء حضورك، أم لغيرة أم لسطحيّة أم لعدم إدراك منهم لأهمّيّة ما تقول، أم بإيعاز دوائر من صالحها تشويه صورتك؟

إذا كنت تعتقد إحدى هذه الاحتمالات الأخيرة أو كلّها، فلا تلتفت وواصل حضورك. أمّا أنا فلديّ شوفة أخرى

لا أبخل بها عليك، انسجامًا مع روح النّصيحة، التّي حرّكت قلمي.

إنّ قطاعًا واسعًا ممّن سألتهم عن خلفية سخريّتهم منك قالوا لي إنّهم يفعلون ذلك معك لأنّ مبالغاتك في الأرقام، التي تقدّمها تذكّرهم بمبالغات وجوه العصابة سابقًا. وهم ثاروا أصلًا على وضع تميّزه المبالغات في الأرقام، على حساب الحقائق في الميدان، فباتوا من هذا الباب يرونك شطرًا منه. إذ لا فرق عندهم بين مبالغات سلّال باسم الجهل، ومبالغاتك باسم العلم.

ثمّ إنّهم استنتجوا من كلّ مداخلاتك أنّك إنّما تسوّد الأسود أصلًا، في حقل الاقتصاد، لتقول إنّك البديل الأبيض مستقبلًا. وهم يعرفون سواد ما تقول، يعني ما جبتش الجديد، وفي الوقت نفسه يريدون من يقف معهم لا من يرغب في أن يقف بهم.

وقالو زيد بالزيادة. راه سكن فالشّاشات. نهار وليل. والأرقام الخياليّة تتطاير من فمّو مع الدفال. لا هو اقترح غيرو يحضرو فبلاصتو، ولا هو خلّى اللّي يحضرو معاه يهدرو. وباش يمد دليل علمي على كلامو يحلف بربّي سبحانو. هو محلّل اقتصادي ولّا إمام جامع؟

من هنا، وبعيدًا عن ثقافة التّشكيك في النّوايا، أطلب منك خدمة الحراك بأن تختفي مؤقّتًا، فقد شغلت قطاعًا واسعًا

من شبابه بملاييرك المقلوبة عن ملاييره المنهوبة، وهي خدمة. للعصابة، لو علمت، أفضل 1234567890 مليار مرّة من خدمات أنصارها المباشرين.

يا خويا راك نسّيتنا بخرجاتك فحدّاد وكونيناف. وإن لم تصمت، فسيتجاوز معك الشّباب مقام السّخرية، بعد أن يقضوا وطر التّنفيس عن الأنفس، إلى مقام تندم معه على أوّل يوم ظهرت فيه في الشّاشة. راني عايش معاهم ونعرف كيفاش يفكرو.

ڨاع الفنجال

1542369845 مليار بليز: أجبد روحك.

امتحان الشّبل

علينا الانتباه إلى معطى بليغ هو أنّ الجزائريّين يملكون خبرة في رفض السّلطة والمعاناة منها وشتمها ومعاداتها، لكنّهم لا يملكون خبرة في استرجاعها باسم الإرادة الشّعبيّة، ضمن حراك ترْفِدُهُ الجهات والأجيال والشّرائح جميعها.

فما عدا تجربة استرجاع السّلطة مطلع السّتّينيات من مخالب الاحتلال الفرنسيّ، عن طريق ثورة طاحنة، ومطلع التسعينيّات من مخالب الدّائرة الحاكمة، عن طريق الانتخابات، فإنّ الخبرة في ذلك صفريّة.

وما يؤسف له أن التّجربتين كلتيهما أثمرتا عنفًا عطّل المسار. ففي الأولى تخلّق عنف معنويّ وفكريّ وسياسيّ عطّل مسار الاستقلال، حتّى بات حزب التّحرير الحاكم يتحدّث هو نفسه عن هيمنة حزب فرنسا على مفاصل الاستقلال، وفي التّجربة الثّانية، التّي كانت ثمرة لمظاهرات 5 أكتوبر 1988، تخلّق عنف ماديّ ذهب ضحيته عشرات الآلاف من المواطنات والمواطنين.

من هنا، فإنّ تجربة الحراك، الذّي انطلق قبل أسابيع، هي التّجربة الثّالثة للجزائريّين في محاولة استرجاع السّلطة، خلال ستّين عامًا، والأولى بالنّسبة للجيل الجديد، الذّي لم يشهد التّجربتين السّابقتين إلا قراءةً أو سماعًا.

وإذا أضفنا إلى قصر تجربة الجيل الجديد في فعل استرجاع السّلطة، خذلان المنظومات المختلفة له، فقد شكّكت في قدراته ومؤهلاته في البداية، ثمّ اضطرّت إلى الاعتراف بها لاحقًا (تحت الزّيّار)، لكنّها بقيت لحدّ السّاعة تشوّش على مسعاه أكثر من مساعدتها له، فإنّه يحقّ لنا الخوف من أن تسرق منه الثّمرة، مثلما سرقت من سابقيه في السّابق، كما ورد في رسالة الأيقونة جميلة بوحيرد.

ومنه فإنّنا مدعوون بإلحاح إلى الانتباه إلى هذا المعطى، بتعميق حرصنا على وحدة الصّفوف، وعلى الرّوح السّلميّة، فهما السّلاحان اللّذان تركّز سلطة العصابة، هذه الأيّام، على انتزاعهما منّا انتزاعًا، من خلال استفزازات الشّرطة في الواقع، وسعار نشر العنصريّات والعصبيات والقبليّات في الافتراضي. وهي إن نجحت، هذه المرّة، في إجهاض فرصتنا في استرجاع السّلطة، فقد لا نحصل عليها مرّة أخرى.

بقي سؤال واحد كبير وخطير علينا أن نواجهه بمسؤوليّة، هذه الأيّام بالذّات،: هل من صالح الحراك استمرار ثقتنا في وعود المؤسّسة العسكريّة؟

شخصيًّا أرى أنّه حان الوقت لأن يفرز الحراك من يمثّله من داخله أو من يزكّيهم من الشّخصيات الوطنيّة لمحاورة مؤسّسة الجيش لا سواها. فتكون الثّقة بالمعاينة والحوار لا بالتّوقّع والانتظار.

ڤاع الفنجال

ركّزنا كثيرًا على تجنّب "القابليّة للاستعمار" من غير أن نتحرّر.
فلنركّز قليلًا على تجنّب «القابليّة للحشوة» علّنا نستطيع.

احتكار الله في بيته

أدرك السّياقات، التّي انبثقت منها السّلفيّة المدخليّة، التّي تجعل من تحريم الخروج على الحاكم هاجسها الأكبر. فقد وقفت ضّد إزاحة بوتفليقة، فلمّا أزيح تحت ضغط الحراك الشّعبي، دعت إلى اعتبار عبد القادر بن صالح وليًّا للأمر، مباشرةً بعد تعيينه بساعة وأربعين دقيقة.

مع ذلك أحترم صدق أتباعها الجزائريّين، على الأقلّ من باب إيماني بالاختلاف. قلت أتباعها لا مشايخها، الذّين لا ينطقون خارج ما يمليه عليهم العقد، الذّي يجمعهم مع المنبع في البيئة الأمّ؟

وما يؤسف له أنّ الدّوائر المخابراتيّة في بلادنا تدرك ذلك جيّدًا، لكنّها كانت تغضّ الطّرف عنهم، بأمر من المحيط البوتفليقيّ، ما داموا يحرّمون الخروج على الحاكم والإضرابات والأحزاب والنّقابات. فالرّجل كان مستعدًّا للسّكوت عمّا يهدّد الأمن القوميّ مستقبلًا، إذا كان يخدم مصلحته الشّخصيّة في الرّاهن.

لقد سكت وزير الشّؤون الدّينيّة السّابق، في حكومة بوتفليقة، عن إخراج الشّيخ فركوس لقطاع واسع من المواطنين الجزائريّين من الملّة المحمّديّة، لأنّهم ينتمون إلى مدارس فكريّة وروحيّة لا ترضاها مخابر سياسيّة في البيئة الأصليّة، التّي انبثق

منها فكره، بكلّ ما يترتّب عن ذلك التّكفير من انزلاقات ممكنة في النّسيج الاجتماعي الوطنيّ، فقط لأنّ الشّيخ حرّم الخروج على صاحب الفخامة عبد العزيز بوتفليقة، والإضرابات التّي كانت تضايق صاحبة المعالي نوريّة بن غبريط!

لكن هل يحملني إيماني بالاختلاف على أن أتفهّم إمامًا جزائريًّا مالكيًّا يخطب، يوم الجمعة، عن نواقض الوضوء وحرمة الحرير والذّهب للرّجال وعذاب القبر، على أهمّية ذلك في سياقه بشروطه ودواعيه، أمام مصلّين ما أن يسلّموا حتّى ينخرطوا في مسيرات مليونيّة تنشد تحرير طاقات الإنسان وخيرات المكان، من سطوة عصابة لا تخاف الخالق ولا المخلوق؟

يفترض أنّ الإمام الجزائريّ سليل أجيال من الأئمّة الجزائريّين، الذّين كانوا حملة لهموم واهتمامات شعبهم. وقد دفع بعضهم أرواحهم في سبيل ذلك. أصلًا نميل نحن الجزائريّين إلى استعمال كلمة «الجامع» لا «المسجد»، لما في دلالته من إحالة على روح الجماعة، التّي تبنيه من جيوبها، في أعلى بقعة، لتجتمع فيه على شؤون دينها ودنياها.

فما الذّي جعل قطاعًا واسعًا من الأئمّة الجزائريّين، حتّى لا أعمّم فأتعسّف، يتخلّفون عن مباركة الحراك الشّعبيّ والسّلميّ، ومرافقته نفوسًا ودروسًا؟

لقد كان لقبول وجه وازن في حقل الإمامة والدّعوة، مثل الدّكتور يوسف بن مهدي، تولّي حقيبة وزارة الشّؤون الدّينيّة والأوقاف، في حكومة رفضتها الهيئة النّاخبة، رفضًا للعصابة النّاهبة، أثر سيّئ في صورة الإمام الجزائريّ، في أعين الجزائريّين، حتّى أنّ بعضهم بات ينسحب من دروس الجمعة، احتجاجًا على بؤس وتواطؤ الخطاب.

يحدث ذلك كنتيجة لتشكّل وعي لدى كثير من شباب الجيل الجديد، يفهم اللّغو، الذّي نهينا عنه في بيوت الله، عند صلاة الجمعة، على أنّه كلام الإمام الخارج عن سياق الشّعب، والدّاخل في سياق السّلطة أيضًا، لا كلام المصلّي أثناء الخطبتين فقط.

وإذا استطاع هذا الجيل أن يسترجع الجمهوريّة من مخالب العصابة، فعليه أن يسترجع مؤسّسة الجامع، من خلال تحريرها من الارتباط بهواجس السّلطة، وبرمجتها على هواجس المجتمع، وفق رؤية تكرّس الدّين الحنيف وتحارب التديّن المغشوش. إذ ليس منطقيًّا أن يحرّر الحراك جميع القطاعات، حتّى قطاع الجيش، الذّي يعدّ التحفّظ عقيدة لديه، ويبقى قطاع الجوامع نائيا عن هذه اللحظة التّاريخيّة الفارقة.

قاع الفنجال

تظهر عورة الشّاب، حين ينزل السّروال. وتظهر عورة الإمام حين يرفع الجبّة. فمالي أرى الجبّات رفعت، بالموازاة مع رفع السّراويل، فستر الشّاب العورة بالرّفض، وكشفها الإمام بالخضوع؟

الشّبل والطّريدة

خرج الشّبل للمرّة الأولى إلى البريّة مملوءًا بنفسه. فكونه سليل الأسود منحه إحساسًا مسبقًا بأنّه سيّد المكان. وأنّه سيحصل بالضّرورة على ما يريد، بالطّريقة التّي يريد، وفي الوقت الذّي يريد.

لكنّه اكتشف في الميدان، والعبرة بالميادين، أنّ الفريسة لا تأتيه من تلقاء نفسها، فقط لأنّه أسد. وأنّ حشرات صغيرة يمكن أن تعرقل هدوءَه وتسمّم لحظاتِه. وأنّ ثمّة منافسين من بني جنسه مستعدّون لأن يمزّقوه إن هو دخل في النّطاق، الذّي احتلّوه لأنفسهم تاريخيًّا.

هناك تعلّم أنّ أسديته لا تتحقّق إلّا بمطاردة الفريسة (الصّبر على الهدف) والتعوّد على الحشرات (الصّبر على التّشويش) والاعتماد على الجماعة (إلغاء الذّات للحفاظ عليها في الوقت نفسِه).

الحديث قياس

منحت الملايين التّي شكّلت الحراك الشّعبيّ إحساسًا للجزائريّ بأنّه لن يتجاوز الجمعة الثّالثة حتّى يُسقط العصابة. من هذا الذّي يستطيع أن يصمد في وجوه الملايين؟

ولأنّه فخامة الشّعب، فما على العصابة إلّا أن تفعل ما يريد، حتّى أنّه راح يضع سيناريوهاتٍ صدّقها بناءً على امتلائه

بنفسه، من قبيل أنّ بلعيز سيستقيل ليخلفه وجه يرضاه، ثمّ يستقيل بن صالح ليحلّ محلّه هذا الوجه، أمّا استقالة حكومة بدوي، فتصبح تحصيل حاصل.

ولم يزل قطاع واسع من الشّعب حتّى اليوم يعتقد أنّ العصابة ستستجيب لمطالبه فقط لأنّ الشّعب أراد. وهذا ما يجب على الحراك أن يتجاوزه، باليأس التامّ من العصابة، فلا ينتظر منها إلّا التّعنّت والتسمّر والاستمرار في المسار، الذّي رسمته لنفسها وله في الوقت نفسه، فيعتمد سياسة المطاردة أسلوبًا نهائيًّا في تعامله معها.

كما أنّنا مطالبون بالانتباه إلى أنّ العصابة ألقت بجرائها في حضن الحراك عند انطلاقه، حتّى لا يدوسهم معها، فقد ارتبكت فعلًا خلال الجمعات الثّلاث الأولى، وها هي تسترجعهم، بعد أن استجمعت قواها من جديد، فراحوا يرتمون في أحضانها، من خلال الترشّح لرئاسياتها والمشاركة في جلسات مشاوراتها.

ما عدا هذا، فإن قوى الحراك اكتسبت مناعة ضدّ الذّباب، فلم تعد تشويشاته تؤثّر في قناعاتها. وهي إن وقعت في شباك الشّك، خلال أيّام الأسبوع الأخرى، فإنّها تمحو ذلك محوًا خلال الجمعة. كما أنّها آمنت فعلًا بضرورة رصّ الصّفوف، وأسقطت، في جمعتها التّاسعة، مؤامرة الإيقاع بين المكوّنين والشّريكين الأمازيغي والعربي.

من هنا، نستطيع القول إنّنا في المسار الصّحيح. وبقي علينا أن نراجع أمرين يمكن لعدم مراجعتهما الإضرار بحراكنا، هما تجديد الثّقة في المناضلين الشّرفاء، والكفّ عن تخوينهم بناءً على فخاخ وضعتها العصابة، وربط الثّقة في مؤسّسة الجيش بالمعاينة والحوار لا بالتّوقع والانتظار، بالشّروع الفعليّ في دراسة إمكانية إفراز ممثّلين عن الحراك من داخله.

لقد كان التّمثيل فخًّا خطيرًا في السّياق، الذّي كانت العصابة فيه هي الطّرف المؤهّل لأن يحاور الحراك (السّياق الإبراهيميّ)، أمّا اليوم، وقد أصبحت المؤسّسة العسكريّة هي ذاك الطّرف، فقد يصبح الاستمرار في رفض فكرة التّمثيل فخًّا في حدّ ذاته.

لم تكن العصابة الحاكمة في حاجة إلى أن تتعلّم كيف تجهض ثورة شعب، فخبرتها في ذلك تساوي أعمار كهوله وشبابه، لكنّ الشّعب بحاجة إلى أن يتعلّم كيف يجهض خططها في إجهاض ثورته (منطق فيروس الإيدز)، فخبرته في ذلك بضعة أسابيع فقط. وهو يبدي في الأمر عبقريّة رائعة ومثيرة للإعجاب. فقط عليه أن يتجاوز منطق الاعتماد على الخطّة الواحدة (المسيرات) إلى منطق تعزيزها بخطط أخرى مرافقة.

قاع الفنجال

صحو الفرد يعني أن يُغادر النّوم/ صحو الشّعب يعني أن يحرق الفراش (الغفلة) لا البيت (الوطن).

تشويش الذّباب

في المجتمعات التّي تحكمها دائرة سياسيّة غير ديمقراطيّة وغير منتخبة، فتحتكم في برامجها وسياساتها إلى المنطق البوليسيّ والعصاباتيّ، تتمّ مواجهة كلّ مشروع جديد لا ينسجم مع توجّهاتها بالسّؤال عن هوّيته وأهدافه، وعمّن يقف خلفه، فيتمّ إجهاضه في المهد، بوصفه مشبوهًا ووليدًا للأيادي الخارجيّة أو الدّاخليّة، "التّي لا تريد الخير للبلاد".

من هنا، قوبل الحراك الشّعبيّ والسّلمي، في بداياته، بسؤال مفخّخ باللّؤم: من يقف خلفه؟ ومن هؤلاء الشّباب، الذّين ظهر لهم فجأةً أن يطالبوا بإسقاط العهدة الخامسة للرّئيس بوتفليقة، ثمّ بإسقاط حروفه التّي خلفته وبمحاسبتها؟

بعد أن فرض الحراك نفسه ومطالبه، وبات حقيقة اجتماعيّة وسياسيّة صارخة، تمّ الانتقال إلى التّشكيك بالسّؤال نفسه، في روافده الجديدة، التّي أثمرتها روح المواكبة، لدى شبابه لتطوّراته في السّاحة.

من بين هذه الرّوافد، التّي أثمرتها المواكبة الشّبابيّة للتطوّرات، مبادرة «السّترات البرتقاليّة»، التّي وُصفت من البعض، في ساعاتها الأولى، بالمشبوهة والمندسّة والهادفة إلى تمييع الحراك.

أليس من الطّبيعيّ أن يقوم الفاعل الأساسيّ للحراك، أي الشّابّ، باقتراح ما يرى أنّ الحراك محتاج إليه من مبادرات؟ إنّه صاحب الفعل أصلًا. ونجاح هذا الفعل في استقطاب الشّارع استقطابًا يكاد يكون شاملًا، يمنحه الحقّ في اقتراح الأفعال المرافقة، التّي يتوجّبها لاحقًا.

ثمّ لماذا الوصاية على الشّارع، في الحكم بالسّوء على المبادرات، التّي يحتكّ بها وبأصحابها مباشرة، حيث يستطيع أن يرصد هذا السّوء بنفسه، من غير وساطة إذا كان موجودًا؟ ألم يفعل تلقائيًّا مع طقس الفوفوزيلّا، فتخلّى عنها نهائيًّا بعد جمعتين؟

لقد طلعت مبادرة السّترات البرتقاليّة، في لحظة حاسمة من لحظات الحراك، هي خروج جهاز الشّرطة من مقام السّلميّة إلى مقام العنف، ضمن محاولة حكومة العصابة استفزاز الشّارع، حتّى يتخلّى عن أقوى أسلحته، أي الرّوح السّلميّة، فتتمكّن من تشويهه وتطويقه.

من هنا، رأى الشّاب توفيق عمران ومن معه، أنّ المبادرة إلى تشكيل جدار يفصل بين الشّرطة والمتظاهرين منعًا للاحتكاك وقطعًا للطّريق في وجوه المندسّين، فقد باتت حكومة بدويّ تعتمد على الاندساس في كلّ خطواتها، لأنّها مرفوضة فعليًّا، خطوة ضروريّة لتكريس الرّوح السّلميّة، التّي سيندثر الحراك عفويًّا يوم يخسرها.

أين المشكل في أن يتولّى الشّباب حماية مشروعهم، الذّي يراهنون عليه في أن يحرّرهم ويحرّر بلادهم، من عصابة ظهر أنّها تشبه عصابة نظام التّمييز العنصري سابقًا في جنوب أفريقيا؟

وما يؤكّد هذا الهدف، أنّ المبادرة ظهرت في العاصمة، حيث إمكانية الاحتكاك مع الشّرطة باتت أمرًا واقعًا. وقد أتت ثمارها في الجمعة التّاسعة، ولا أشكّ في أنّ ثمارها ستزداد في الجمعات القادمة، إذ يبدو أن جمعاتنا ستطول.

ولئن كان هدف المبادرة في العاصمة تحقيق الحماية، بمنع الاحتكاك مع الشّرطة، وقطع الطّريق على البلطجيّة، فإننا مطالبون بتوسيعها إلى بقيّة الولايات، لتحقيق أهداف تتعلّق بالرّعاية، منها التكفّل بالمرضى والعجزة والقادمين من بعيد وتنظيف السّاحات وتوزيع المأكولات والمشروبات والحيلولة دون رفع الشّعارات المندسّة.

إنّ مبادرة السّترات البرتقاليّة، ولا طائل من النّبش في رمزيّة اللّون، فقد تصالح شباب الحراك مع جميع الألوان، عكس بعض الوجوه والنّخب، التّي أعماها الخضوع للّون الواحد، مؤهلة لأن تكون منصّة حقيقيّة لإفراز وجوه شبابيّة مؤهّلة لأن تكون ممثّلة للحراك مستقبلًا، في ظلّ تغيّر المعطيات.

في ظلّ خصوصيّة الحراك القائمة على كونه مبادرة غير نخبويّة، إذ أن النّخب المختلفة لم تفهمه بعد، فاكتفت إمّا

بمسايرته أو معايرته، تولّى الشّاب العادي حماية المسعى من الانزلاق والاختطاف، مثلما فعل الشّاب سفيان، الذّي أفشل حيلة محيط بوتفليقة، من خلال شعار «يتنحّاو قاع»، في الوقت الذّي خرج فيه قطاع واسع من «النّخب» للاحتفال بمقترح التّمديد، وها هو الشّاب توفيق ينقذ سلميّة المسعى بمبادرة السّترات البرتقاليّة.

قاع الفنجال

روحو أو زيدو. الحراك يحميه وليدو.

غربة في البيت

في كلّ مرّة ذهبت فيها إلى دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، منذ 2012، كنت أتلقّى عرضًا جادًّا ومغريًا للاستقرار والعمل هناك، فأقول شاكرًا وممتنًّا إنّني سأفكّر.

ستٌّ سنواتٍ من العروض، توازيها ستّ سنوات من التّفكير، الذي ينتهي بي إلى البقاء في الجزائر والانخراط في مشاريع ثقافيّة جديدة.

من الشّتائم التّي سمعتها من الجزائريّين، الذّين علموا بالأمر، فتلقّيتها بضحكة، مثلما أتلقّى الحياة في الجزائر بصبر ومكابرة: جايح/ بوهالي/ بوهيّوف/ خرا/ حيوان/ حمار/ أغيول/ مهبول/ بوخنونة/ عزري/ مفنّخ/ محشيتلك، والقائمة طويلة.

هنا أبادر إلى القول إنّني لست ضدّ الهجرة. ولا أزايد في الوطنيّة على من هاجروا. ذلك أنّ الوطن قيم نحملها في الوجدان والأذهان أينما حللنا. ولو أتيح لنا أن نملك مقياسًا للوطنيّة، ربّما سنجد المهاجر متفوّقًا فيها على المقيم. ألم يخرج المواطن المهاجر مساندةً لمطالب الحراك في عواصم الدّنيا، مثلما خرج المقيم؟

كلّ ما في الأمر أنّني كلّما حاولت أن أستغلّ فرصة للهجرة، تراجعت أمام دموع أمّي، التّي أنا وحيدها: ما تروحش.

ـ نروحو مع بعض.

ـ ما نروحش. تعرفني مريضة من صدري

ـ أبقاي نتي مع البنات، وأنا نروح ندير شويّة تاويل ونرجع بالخف

ـ اسمك عبد الرزاق .. عيب تخاف على الرّزق

الحقيقة أنّني كلّما هممت بالهجرة، خجلت من اسمي ومن أمّي. كيف عدت إلى برج بوعريريج، بعد ستّة عشر عامًا، من الإقامة في الفضاء العاصمي، حتّى استقرّ في الأذهان أنّني منه؟

جاءني عرض جادّ ومغرٍ من الشّارقة، لأشتغل في مشروع يشرف عليه صديق إماراتي يعرف قلمي ونشاطي. فأقنعت أمّي وزوجتي وبناتي، بأن يسمحن لي بالذّهاب لمدّة عام لا غير، على أن أزورهنّ أو أستقدمهن كلّ أربعة أشهر فوافقن.

كان صعبًا تركهنّ في مدينة بودواو، إذ لا قريب لهنّ هناك. فتمّ الاتفاق على العودة إلى برج بوعريريج ليكنّ قريبات من الأهل.

ما أن طارت الطائرة الإماراتيّة، من مطار هواري بومدين مطلع نوفمبر عام 2017 حتّى تداعيت دموعًا، ثمّ

نشيجًا، فلفتّ الانتباه إلي. لقد تفاديت الحرج بالقول إنّني فقدت قريبًا في دبي، وأنا ذاهب لألقي النّظرة الأخيرة عليه.

بعد يومين، استقبلني صديقي في مكتبه. وقال لي إنّه أضاف تكاليف الإيجار إلى جملة امتيازات العقد، الذّي أمسكته كما لو كنت أمسك وثيقة إعدامي. تأمّلته لُحُيْظاتٍ، ثمّ انفجرت بالعويل، فما كان منه إلا أن أغلق الباب علي، وخرج احترامًا لحالتي.

بعد أربعة أيّام، طرقت الباب على حبيباتي في برج بوعريريج، فوقعن في الدّهشة والذّهول (نجمة أغمي عليها. ووجدت علياء قد كتبت لي تسعَ رسائلَ في ستّة أيّام).

طلبت منهنّ الاستعداد للعودة إلى العاصمة، فعارضن الفكرة من أصلها. لقد وجدن في البرج راحتهنّ وريحهنّ ورائحتهنّ.

يقول ألبير كامو في تفسيره لأسطورة سيزيف، الذّي حكمت عليه الآلهة بأن يرفع صخرة إلى قمّة الجبل، حتّى إذا أوصلها انزلقت من جديد، فيعيد الكرّة إلى الأبد، إنّه لا حلّ له سوى أن يتصوّر كونه سعيدًا بشغله.

من هذا المنطلق، بعثت مشاريع ثقافيّة جديدة في البرج وأماكن جزائريّة أخرى، مردّدًا بأعلى صوتي: ما أجمل الجوّ هنا، يا رفقتي وأبدعه.

قاع الفنجال

هل جاء الحراك إلا لينقذ أمثالي من دواعي الهجرة؟

خيانة الذّهب

كنتُ صغيرًا حين حضرت عرسًا مفخّخًا، تمّ فيه تزويج فتاة بغير حبيبها. فعمد هذا الأخير إلى الهجوم على موكب العرس واختطافها، فيما عمدت أخته إلى إخفاء حليّ العروس في عبّونها.

ما أدهشني، يومها، أنّ والدة العروس كانت تحثّ على استرجاع الذّهب، بالبحث عن شقيقة المختطف، عوضًا عن حثّها على استرجاع العروس نفسها.

وها أنا، بعد أن كبرت، أرى المشهدَ نفسَه يتكرّر، لكن بوجوه أخرى وصيغة أخرى، وعلى مستوى آخر تمامًا.

ما معنى الشّروع في استرجاع أموال الجزائر، من خلال استدعاء بعض وجوه العصابة إلى المحكمة، قبل تحرير الجزائر نفسها من كلّ العصابة؟

ألم يكن كافيًا التحفّظ على أرصدة هؤلاء، وعلى مغادرتهم للبلاد، ريثما يتمّ بناء نظام جديد ومنتخب تتولّى عدالته يومها الحساب والعقاب، على ضوء القوانين، وفي ظلّ شفافيّة تكرّس قيم العدالة؟

إنّ ما يحدث في هذا الباب، بهذه الطّريقة والانتقائيّة، سيعمل على إلهاء الشّارع عن مطلبه الرّئيسيّ، فيصبح الفرع

أصلًا، والأصل فرعًا. وهو ما يمكّن الأصل الأوّل من الإفلات، تمهيدًا لإجهاض الحراك.

ثمّة مطلب واضح: رحيل العصابات (لم يعد الأمر يتعلّق بعصابة واحدة. وعلى الحراك أن ينتبه إلى أنّ ضبط المصطلح في معركة التّغيير حاسم جدًّا). وثمّة إجراء واضح ينبغي اتّخاذه لتحقيق هذا المطلب: إنفاذ الإرادة الشّعبيّة، بالاستناد إلى المادّتين السّابعة والثّامنة من الدّستور، حيث يتمّ تعطيل «دستوريّة» الوجوه الحالية، واستبدالها بوجوه يرضى عنها الحراك، لإنجاز انتخابات حقيقيّة، فيصبح لمحاكمة الفاسدين جدوى ومعنى.

وسوف لن تطول الأيّام، حتّى تتحالف معطيات أخرى، مع معطى تعسّف هذه المحاكمات (تعسّف التّوقيت والطّريقة والانتقائيّة)، ليتخلّق من داخل الشّارع ورم العنصريّات والجهويّات، التّي ستجد لها مبرّرًا شعبويًّا، بعد أن فشلت محاولات سابقة في ذلك. وما شروع وجوه العصابات، في مسح الموس في منظمة الماك الانفصاليّة، في قضايا كثيرة، إلّا مقدّمة لذلك.

هنا، على قوى الحراك أن تفصل نهائيًّا، في موقفها من مرافقة المؤسّسة العسكريّة لها: نحتاجكم نعم. نقبل بمرافقتكم في مسعى استرجاع الجمهوريّة المدنيّة نعم. لكن لن نمنحكم وقتًا آخرَ للبتّ في تنفيذ الإرادة الشّعبيّة. فقد ظهر خيار احترام

الحلّ الدّستوري، وخيار محاكمة بعض الفاسدين، قبل إزاحة عصابات الفساد من الحكم، خطرًا على البلاد والحراك والوحدة الوطنيّة، التّي أنتم ملزمون بحمايتها.

قاع الفنجال

نفشل حين ينجحون في نقل الصّراع من ثنائيّة (شعب – عصابات حاكمة) إلى ثنائيّة (شعب – شعب). حينها سنخسر الذّهب والعروس معًا. فيكون عرسنا "عرسَ بغل".

أشقّاء الطّوفان

رأيت في المنام أنّي صحوت على خبر عاجل، مفاده أنّ إعصار إيرما قرّر لأسباب علميّة غامضة، أن يعود أدراجه شرقًا، ويصبّ نفسه في الجزائر.

اجتمعت "المجموعة الوطنيّة" على جناح البطء، بحجّة أنّ الإعصار يستغرق أسبوعًا للوصول، وراحت تدرس خطّة المواجهة، فكانت النّقطة الأولى، في جدول الأشغال، جزأرة اسم الإعصار.

قال أحدهم: تعلمون أنّ هويّة البلاد، في الأصل، أمازيغيّة. وأرى أن نسمّيه "إعصار "إذير". قال ثانٍ: بل هي عربيّة والأليق أن نسمّيه "إعصار ليث". قال ثالث: بل إنّها إسلاميّة، وسنسمّيه "إعصار أبي ذر". قال رابع: لماذا تصرّون على أن تمدّوا ظهوركم للبعد الأفريقي؟ أليس جميلًا أن نسمّيه "إعصار أمادو"؟ قال خامس: كيف عجزت 1500 كيلومتر من السّواحل عن جعلكم تؤمنون بالبعد المتوسطيّ؟ سيكون اسمه "إعصار جاك".

تنابزوا بالهوّيات. وتهاوشوا بالأيدي. ثمّ أخرج كلّ طرف هاتفه، وهتف لحشده، فضجّت ساحة الاجتماع بالحشود والأسماء: إذير.. أبو ذر.. ليث.. أمادو.. جاك.

مسخني غضبي قردًا كما يرى جدّي، أو أعادني إلى أصلي كما يقول داروين، ورحت أنطّ بين الحشود المتحمّسة صائحًا: مالكم نسيتم الجوهر، ورحتم تركّزون على القشور. الإعصار قادم يا دين اللّفت. فلتسمّوه "الكارثة"، وتتفرّغوا لإعداد العدّة، مثلما كان يفعل أجدادكم في مثل هذه المقامات. راكم حابّين يدّيكم قاااااااااااااع؟

قاع الفنجال

ـ متى تتمكّن منّا أيّها الإعصار؟

ـ حين يهمّكم من أين جئتم، وتنسون أنّي جاي

تناقضات الرّونجاس

السّيد رئيس الأركان

هل تناولت فطورك بشكل جيّد، في ظلّ هذه الأوضاع؟ أنا حق ربّي ما قدرت ناكل كِسمعت خطابك.

واش من فرق بقى بينك وبين العصابة اللّي راهي فالرّئاسة والحكومة والبرلمان، ما دام راك تشوف باللّي مقاطعة مشاوراتها ومطاردة وزرائها حاجة ماهيش مليحة، والمشاركة فانتخاباتها الجاية حاجة لازمة؟

وزيد بالزّيادة، علاش وصّيتنا نبقاو سلميين وحضاريين، فعوض ما تقول للشّرطة ما يضربوناش، وما ينحّولناش الاعلام؟ حنا اللّيّ كان سلمي فينا قبل 22 فيفري كمّلها سلمية، واللّي كان عنيف، بطّل يكسّر ويخسّر، لخاطر عرف باللي رايح يشوّه الحراك ويخسر فرصتو فالتّغيير.

نحن لا نملي عليك تصرّفاتك. فأنت شخص راشد ومسؤول. راك فعوض جدنا كامل. فقط نحن نطالب بأن تحترم عقولنا، فقد قام الحراك أصلًا حين استهانت العصابة بعقول الشّعب. وذلك بأن تكون منسجمًا في تصريحاتك، التّي سمّيت في بعضها القوم «عصابة»، وقلت إنّ مؤسّسة الجيش تشترك مع الشّعب في الرّؤية نفسها للمستقبل، ودعوت في بعضها إلى

احترام المسار الدّستوريّ، حتّى أنّك أصبحت تعتبر من قاطع الباءات في الميدان عبئًا.

حنا عيّطنا الشّعب والجيش خاوة. وماناش نادمين عليها. لخاطر صح خاوة. لكن يبدو أنّنا مطالبون اليوم بحصر هذه الأخوّة في التّعويل عليه في حماية الحدود فقط، لا في مرافقة استرجاع السّيادة الشّعبيّة أيضًا.

ولئن كان جيشنا مطالبًا بالاعتماد على السّلاح للقيام بواجب حماية الحدود، فسنلزم أنفسنا بالاستمرار في الاعتماد على الرّوح السّلميّة، للقيام بحق استرجاع السّيادة الشّعبيّة. يعني كل واحد يقوم بدورو.

ستستمرّ جمعاتنا وتجمّعاتنا وجامعاتنا، في رفع رفضنا لهذا الحاضر البغيض، ومطالبتنا بمستقبل يليق بأحلامنا وأيّامنا، بغير هذه الوجوه التزويريّة، فإن رأيت أنّنا خارجون على القانون، وأنّ مطالبنا تعجيزيّة فعلا، فلك أن تطلق علينا الرّصاص.

قلنا وسوف نبقى نقول، بكلّ أعراقنا وعروقنا، إنّنا أحفاد الشّهداء. فعددهم ضعف بعض الشّعوب الحيّة، ونحن مستعدّون لأن نموت. فقط تأكّد أنّ التّاريخ سوف يكتب أنّنا متنا مثلهم من أجل الوطن، وأنّك قتلتنا من أجل العصابة.

قاع الفنجال

شكرًا على إطالة عمر الانسداد. فقد كانت فرصةً لنا لنتعلّم كيف نكون سدودًا.

تحالف خاص

فرارة الفنجان

كان أحدهم يسوق بسرعة 200 كيلو في السّاعة، فلاحقه الشّرطي وحشره في زاوية.

الشّرطي: علاش راك تسوق بسرعة؟

السّائق: نسيت تلفوني فالدّار بلا كود.

الشّرطي: أجري الله لا تربحك. وأنا نلعبها نجري موراك، باش ما نبانش خارج القانون، بالصّح نفتحلك الطّريق.

الحديث قياس

لا شكّ في أنّ الشّرطي ذاق، من قبل، ما معنى أن ينسى هاتفه بلا كود. وهو المذاق الذّي جعله ينسى كونه مكلّفًا بحماية القانون، فتعاطف مع ضحيّة الغفلة، الذّي يوشك على أن يذوق ما ذاق. فالزّوجة الجزائريّة لا تغفر الخيانة، وتغفر ما دون ذلك.

ترى كم من طرف يشبه الشّرطيّ، الذّي في النّكتة السّابقة، في تعامله مع الشّعب، منذ 22 فيفري الماضي؟ إذ يتظاهر بأنّه يطارد العصابة، لكنّه في الحقيقة إنّما يفتح الطّريق لها من أجل أن تدرك الكود؟

ولأنّ الشّعب أدرك هذه الحقيقة، فقد تولّى مطاردة العصابة بنفسه، حتّى بات أعضاء حكومتها أقرب إلى الرّهائن في مكاتبهم منهم إلى وزراء جمهوريّة.

من الطّبيعيّ جدًّا أن يحصل هذا التّواطؤ، بين المنظومات التّقليديّة المختلفة، لإجهاض الحراك الشّعبيّ والسّلميّ، ما دام الأمر يتعلّق بالإبقاء على الكود سرّيًّا، لأنّ الشّعب إذا اطلع عليه، فسيكون الجميع تحت طائلة الفضيحة، بكلّ ما يترتّب عنها من زلازل وبراكين وبروق ورعود وفيضانات.

قاع الفنجال

ـ واش هو الكود نتاع الشّعب؟

ـ الوحدة والسّلميّة.

بذاءة مؤجّلة

فرارة الفنجان

زعف بومدين على بوتفليقة. أيا هز كابتو وسافر بهوّية مزوّرة لأمريكا اللّاتينية وهو ناوي ما يرجعش.

حجز في أوتيل جاي في بقعة نائية. ومع دخل للشّمبرة سمع طبطيبة على الباب. فتح لقى شاب بملامح دزيريّة عطاه ورقة صغيرة الهوّاري مكتوب عليها TTHH

هز سي عبد العزيز كابتو ورجع للبلاد.

فالطيّارة صقصاه المرسول: واش قالّك الهوّاري حتّى رجعت؟

قالّو سي عبد القادر المالي: هذيك الحروف معناها: تطوّل تقصّر حاكمك حاكمك.

الحديث قياس

إذا كانت ثمّة رسالة واضحة أراد الشّعب الجزائريّ إرسالها إلى بقايا بوتفليقة في الحقول كلّها، خلال الجمعة العاشرة، التّي راهن كثيرون على أن تكون فاترة: تطولو تقصرو حاكمينكم.. حاكمينكم.

قاع الفنجال

إذا تمادى القوم في التّعنّت والتّلاعب والمراوغة، فإنّ الرّسالة الشّعبيّة ستعتمد القاموس البرايجي العظيم، فتصبح هكذا: TTNN

نحن والخارج

التقيت خلال عشرة أيّام في الخليج العربي عشرات المثقّفين والفنّانين والكتّاب والإعلاميين عربًا وغربيين، وتجاذبنا أطراف الأحاديث في الحراك الشّعبيّ الجزائريّ، فلم ألمس أنّ أحدهم تحدّث معي عنه بنبرة التّدخّل في الشّؤون الدّاخليّة.

لقد كانوا يكتفون إمّا بإبداء الإعجاب، و إمّا بطرح الأسئلة رغبةً منهم في فهم أكثر.

قبلها، لم يحدث أن راسلني أحد ممّن أعرف من الأصدقاء الأجانب على الخاص، بخصوص ما يحدث في البلاد. ومن علّق منهم على منشوراتي المعلنة اكتفى بتمنّي الخير للجزائر والجزائريّين.

وهو في الحقيقة السّلوك نفسه، الذّي تبنّته الدّول، منذ انطلاق الحراك. عكس ما حدث في كلّ الدّول، التّي شهدت حركة شبيهة.

لقد استعطنا فعلًا أن نفرض على الخارج أفرادًا ومنظماتٍ ودولًا معطى أنّ ما يحدث عندنا هو صراع داخليّ وعائليّ، يحلّ داخليًّا وعائليًّا. وقد أبدعت قوى الحراك الشّعبيّ في «عضّ» الأطراف الدّاخليّة، التّي حاولت أن تقحم الخارج في الأمر، بحسن نيّة أو بسوئها، سواء كانت في السّلطة أو خارجها.

فبالإضافة إلى الرّوح السّلميّة وروح الوحدة الشّعبيّة، استطاعت قوى الحراك أن تعزّز موقفها، برفض التّدخّل الأجنبيّ في الشّؤون الدّاخليّة، وتكرّس ما يحدث بينها وبين السّلطة شأنًا عائليًّا.

لكن دعونا نطرح هذا السّؤال بأعصاب باردة، بعيدًا عن عقليّة الاصطفاف، الذّي بدأ ينهك قوى الحراك: إلى أين يتّجه هذا الشّأن العائليّ؟

إنّ قليلًا من التأمّل، في التّفاصيل الواضحة، يجعلنا ندرك أنّ الصّراع بدأ ينتقل من ثنائيّة (شعب/ عصابة حاكمة) إلى ثنائيّة (بعض الشّعب ضدّ العصابة وقائد الأركان المتمسّك بالحلّ الدّستوريّ/ بعض الشّعب المساند لرئيس الأركان).

وسوف لن تطول الأيّام، حتّى نشهد مسيراتٍ، خارج مسيرات الجمعة، تعلن الولاء لرئيس الأركان ورؤيته للحلّ، فيصبح المفهوم المكرّس رسميًّا لمقولة المؤسّسة العسكريّة «الجيش والشّعب يشتركان في الرّؤية نفسها للمستقبل» هو الذّهاب إلى انتخابات رئاسيّة، بمرشّح يرضاه الطّرفان (الجيش والأطراف الشّعبيّة التّي تسانده).

حينها، ستسارع الأطراف الأجنبيّة، التّي التزمت «الحياد»، من قبل، إلى الاعتراف بالواقع الجديد والتّعامل معه، من دون أيّة عقدة.

وإذا كان مستبعدًا جدًّا أن يحصل انقسام في صفوف الجيش، إذ أنّ ذلك ليس من عقيدته، فإنّه وارد أن يحصل انقسام في صفوف الشّعب، ممّا يجعل القراءة السّابقة وجيهة كثيرًا.

وبغضّ النّظر عن وجاهة الحلّ، الذّي تقترحه مؤسّسة الجيش أو تعسّفه، فإنّه يتّكئ على أرضية ستجد من يسندها ويساندها في الخارج، فنحن لسنا معزولين في جزيرة معزولة، وللاقتصاد والهيمنة الثّقافيّة وزنهما، في مثل هذه المفاصل، في مقابل اعتماد قوى الحراك الشّعبيّ على الإرادة الشّعبيّة وحدها، داخل منظومة عالميّة تجعل إرادة الشّعوب في ذيل المعطيات التّي تراعيها.

تعالوا مرّة أخرى نواجه سؤالًا آخرَ بالأعصاب الباردة، فقد لعبت الأعصاب الحارّة دورًا حاسمًا في اندلاع الحراك واستمراره عدّة جمعات، لكن حان الوقت، الذّي لن يستمرّ فيه إلّا بالأعصاب الباردة: ما هي خطّة قوى الحراك لإنقاذه من الأشواك والإنهاك والانتهاك والارتباك والاشتباك؟

قاع الفنجال

حين تقع الذّبابة على خصيتك، ستدرك أنّ اللّجوء إلى العنف ليس في صالحك.

قلوب في المؤخّرة

فرارة الفنجان

قيل لكم إنّ النّسر طائر حرّ لا يأكل إلا مُمُّو العين، من أرنبٍ برّيٍّ ودجاجٍ بلديٍّ وسردين. فإذا شاخ وعجز عن توفير لقمته بمخلبه المسلول، أعفى نفسَه من العيش المذلول، بأن يُلقيها على الصّفّاح، من غير أن يقول: آح. ولا يبني عشَّه إلّا في متناول المستحيل، فلا يصل إليه متسلّق. هل فينا من رأى بيضات النّسر؟

في المقابل، يأكل بلّارج (اللّقلق) المعيوفَ من الدّيدان والحشرات. ويبني عشّه في متناول الأيدي والنّظرات. وقد طمع يومًا في أن يحظى بالاحترام نفسِه الذّي للنّسر، فراح يبني عشّه، إلى جواره، في راس الهاوية.

استيقظ النّسر فأدهشته الجرأة. لكنّه لم يمنعه على طول، بل راح يختبره بالمعقول.

قال النّسر سيّد الهاوية للّقلق سيّد الهواء إنّه يرغب في حَجَّةٍ يغسل فيها عظامَه، لكنّه لا يجد من يخلفه على الفراخ. فانتفخ اللّقلوق، ومن عادته الانتفاخ: كيف تقول هذا وأنا موجود؟ روح تحج على روحك وغادي تلقى فروختك كيما خلّيتهم.

خاض النّسر إلى الكعبة من حيث تُؤتى، ثمّ عاد فوجد صغاره في حكم الموتى! لأنّ اللّقلق لم يَكُ يجلب لهم إلّا

بوجعران، وهم، مثل أبيهم، يعافونه، ففضّلوا الجوع عليه. هذا الفرخ من أبيه.

اشتعل غضبًا زُعافًا، وقال للّقلق إنّه أنصفه بالاختبار في الأولى إنصافًا، وسيُنصفه ثانيةً بأن يُحلّقا في الجوّ تحليقًا ، ليُمزّق الأقدرُ منهما الثّاني تمزيقًا.

فما كاد اللّقلوق يطلع جناحًا أو جناحين، حتّى كان النّسر في علّيين. وطاحَ عليه، ممزّقًا إياه من عنقه إلى حيث يُفترض أنّ قلبه موجود في صدره، فلم يقل "آه.. قلبي".

واصل النّسر تمزيق اللّقلوق، إلى أن بلغ مؤخّرته من فوق، فصاح بأعلى وجعه: "ياو قلبي".

قال النّسر: وحقّ أبي سيّدِ الأجواء، لو علمت أنّ قلبك في مؤخّرتك، ما طرت من أجلك هذه الطّيرة.

الحديث قياس

يقول القرآن العظيم: «وما من دابّةٍ في الأرضِ، ولا طائرٍ يطيرُ بجناحيهِ إلّا أممٌ أمثالُكمْ». وأقول إنّ الجزائريّين باتوا يُصنّفون، من خلال تصرّفاتهم إزّاء الحراك، إمّا ضمن النّسور وإمّا ضمن اللّقالق.

ڤاع الفنجال

ـ آي قلبي على بلادي.

ـ وين جاي قلبك؟

تنازلات قاتلة

من ذا الذّي ينافس شعيّب في الصّبر والقناعة؟ فهو إذا حصّل لقمته وجغمته، مال إلى الظّل وتلحّف بشمس الحمد، لا يبغي عليهما مزيدًا.

في مقابله، ترتدي زوجته ثوب الجشع، فلا يقنعها ما تسوقه لها الأقدار، وتتطلّع إلى غيره، حتّى وإن قذفها في النّار.

استيقظ شعيّب ذات صباح، فوجد زوجته تعدّ للبغل بردعته، وتهمّ بالخوض في طريق مجهول.

ـ إلى أين يا مخلوقة؟

ـ أبحث عن ملاك الرّزق. إمّا أن يجعلني من الأثرياء، وإمّا أن يسلّمني إلى زميله ملاك الموت

ـ لكنّ اللهّ هو الرزّاق

ـ إن شئت تبعتني، وإلا فابق في الكوخ

تخلّف عنها في البداية. ثمّ خاف على سمعته من ألسنة الخلق، فلحقها وراحا ينشدان ملاك الرّزق. فلمّا انقطع بهما الطّريق إلى بطحة وسيعة لا يراهما فيها إلا الذّي لا يسهو ولا ينام، انبثق أمامهما شيخ شديد بياض اللّحية والرّاس والهندام. قال إنّ اللهّ هو الرزّاق، فعودا قانعين إلى الزّقاق.

استعدّ شعيّب للعودة، بينما استعدّت زوجته لإكمال المسير. فقال الشّيخ الملاك لشعيّب سليل النسّاك: لك ثلاث طلبات اطلب فيهنّ ما تشاء، نظير القناعة والصّفاء.

وما أن سمعته الزّوجة الجشوع، حتّى تركت البغل الخنوع، وعادت إلى زوجها متوسّلة: أنا صاحبة تدبيرة الخروج، فتنازل لي عن واحدة من الثّلاث.

قالت يا ربّي اجعلني مثل لونجة بنت السّلطان، الشّعر ليل والوجه نهار.

رأى شعيّب ما صارت إليه زوجته من جمال، فنسي بقيّة مطالبه، وعاد بها إلى البيت يرمّم بها خرابه. فالرّجل أمام حسن النّساء ينسى ذهبَه ومذهبَه وذهابَه.

مرّ السّلطان على حوش شعيّب، فانبهر بحسن امرأته العظيم. وأمر جنده بأن يلحقوها بالحريم.

تذكّر شعيّب الطّلبتين، اللّتين بقيتا له، فاستعمل الثّانية: يا ربّي اجعلها كلبة تنبح.

أعدّت الجواري العروس الحسناء للسّلطان، فلمّا دخل عليها وجدها كلبة تخبش الجدران، فأمر بأن يعيدوها إلى صاحبها.

هناك استعمل شعيّب الطلبة الثّالثة والأخيرة: يا ربّي أعدها كما كانت أوّل مرّة.

الحديث قياس

متى خسر شعيّب فرصته في أن يغيّر حياته؟ عندما استجاب لاستعطاف زوجته، فتنازل لها عن طلبة واحدة من الثّلاث. وهي لم تكن جديرة بذلك إنسانةً وزوجةً.

كذلك سيخسر الشّعب الجزائريّ فرصته في التّغيير، إذا استجاب لاستعطاف/ تعنّت السّلطة القائمة، فقبل بالحلّ «الدّستوري» وفق صيغة المادّة 102 وحدها.

قاع الفنجال

ما نعانيه في حاضرنا هو ثمرة لتنازلات غبيّة في ماضينا.

مرآة الكبش

تحريك الفنجان

(1)

عثر راعٍ على شبل في الغابة فتبنّاه.

(2)

كبر الشّبل بعقليّة ونفسيّة كبش: يقلّد الثّغاء/ يعتلي النّعاج/ يخاف الذّئاب/ يأكل الحشيش/ يندهش من عدم ذبحه/ ينام في الزّريبة.

(3)

التقى مرّةً أسدًا يعيش مثل الأسود ومعهم، فرحّب به:

ـ أهلًا بأخي الأسد.

ـ قادر روحك. أنا كبش.

ـ هاهاهاها نت سبع.

ـ قتلك أنا كبش.

(4)

تدخّلت اللّبؤة وقالت للأسد المُتَكَوْبِش: هل ترى هذا الغدير؟ شف وجهك في صفحته. وقارن بينه وبين وجه الكبش، الذّي في ذاكرتك، ووجه هذا الأسد الماثل قدّامك.

(5)

فعل فاكتشف الحقيقة.

(6)

هناك قال: إيه.. أنا سبع وما علاباليش.

الحديث قياس

مكث الشّعب الجزائريّ سنواتٍ خاضعًا لعقيدة أنّ الواقع السّياسيّ يصنعه الحكّام، فهو يرفض من الدّاخل، لكنّه يرضخ من الخارج.

وحين خرج يوم 22 فيفري أدرك أنّه شعب حقيقي،ّ ويملك كلّ مؤهّلات التّغيير. بما أربك العصابة الحاكمة في البداية، ثمّ استجمعت قواها من جديد، وراحت تضرب مفاصل وحدته، حتّى تخرجه من مقام الأسد، وتعيده إلى مقام الكبش.

قاع الفنجال

إمّا «باااااع» فيستمرّ وجوه العصابة أسودًا، وإمّا «آااااع»، فيتحوّلون إلى كباش.

تطهير الحذاء

تحريك الفنجان

(1)
تساءل الفتى سعيد: لماذا لا يترحّم أهل القرية على أبي عزّوز، عندما يذكرون اسمه، مثلما يفعلون مع باقي الموتى؟
(2)
نقل السّؤال إلى كبير القرية، فقال له: استر ما ستر الله يا ولدي.

ـ ما نسترش. لازم تقولّي

ـ كان أبوك يفعل ما لم يفعله أحد قبله

ـ وكاش كان يدير؟

ـ كان ينبش القبر الجديد، فيخرج دفينه ويتركه في العراء
(3)
أقسم سعيد في نفسه: وحقّ هذا المسطاش لأجلبنّ الرّحمة لأبي.
(4)
صار سعيد يخرج الميّت الحديث، ويعلّقه في الشّجرة.
(5)
صار أهل القرية يقولون: كان عزّوز رحمة اللهّ عليه يكتفي باستخراج الميّت على الأقل، أمّا هذا فيستخرجه ويعلّقه أيضًا.

الحديث قياس

قوبل الحراك الشّعبيّ والسّلميّ بثورة مضادّة شرسة ومجنونة بات هدفها واضحًا: جعل الجزائريّين يخافون على

حاضرهم ومستقبلهم، فيقول بعضهم: بوتفليقة ولا الفوضى. ويقبلون استمراره من خلال باءاته وجيماته وقافاته وهلمّ حروفًا فاسدة.

غير أنّ الميدان أثبت، لحدّ السّاعة، أنّ كلّ الفزّاعات، التّي أخرجتها العصابة هي صناعة وليست بضاعة، فقام الجزائريّون بإفشالها ميدانيًّا. وهم إن تشبّثوا بوعيهم ووحدتهم إلى النّهاية، سوف يجرّدون العصابة من كلّ فزّاعاتها، ويعيدونها إلى مقام الارتباك، الذّي أدخلتها فيه الجمعات الأولى.

قاع الفنجال

لقد فات العصابة أن عصافير اليوم لا تخاف، حتّى أنّها تحطّ على رؤوس الفزّاعات، وربّما أقامت فوقها أعشاشها. ذلك أنّها كانت تعيش داخل الأقفاص، وترى أشخاصًا يتحرّكون قدّامها، فكيف تخيفها فزّاعات جامدة؟

تحوّلات التّشبيه

تحريك الفنجان

كتب **سعد بن قطّاف**، وهو شابّ جزائريّ ولد عام **1998**، أي أنّه لم يعرف رئيسًا من غير عبد العزيز بوتفليقة.

– نشتيك

ڨد الجامات الزّرقاء لي داروهملي زكارة. ڨد ما تقطعولي كيتمان. ڨد ما دارو مشروع كاتب. ڨد ما نويت نتبدّل من غدوة وما تبدلتش. ڨد ما يهمش لي تقالت. ڨد ما كليت الزفيطي. ڨد ما سمعت لبابيلون. ڨد الستوريات تاع الانستا لي فيهم غناء سولكينغ. ڨد ما برد قلبي على كلش. ڨد ما عطست وما قلتش الحمد لله. ڨد ما تفرجت غامبول. ڨد ما ضحكت على الفيديو تاع دخت عبالك. ڨد السماطة تاع برنامج فاميلتنا. ڨد ما تشتي البالو رجلين ميسي. ڨد الستاتيات تاع حسابي يتعرض للإبلاغ ممكن نكز؟ ڨد ما قلت دقيقة ونجيك. ڨد الإشهارات تاع القهوة في الزازاير. ڨد الخيبات لي صراولي. ڨد ما بوّس عادل إمام. ڨد ما طيح المواطن الزطشي للكونكسيون. ڨد ما نكره القراية. ڨد ما طاحتلي الباتري. ڨد ما داواو كلش بزيت الزيتون. ڨد ما دار نكاز لايف. ڨد ما تيليشارجاو من الايجي بست. ڨد البنة تاع التطباع فالكوس. ڨد ما راني نستنى في جون

ويك 3. ڤد ما قطعت الورق من الشجر. ڤد ما درت روحي ما شفتش.

شاهد الحديث

لم ينتبه قطاع واسع من النّخب السّياسيّة والثقافيّة والجامعيّة والإعلاميّة، إلى الثّورة التّي أحدثها الشّاب، الذي ولد وعاش خلال المرحلة البوتفليقيّة، على مستوى التّشبيهات التّي يستعملها. خاصّة في جهة المشبّه به، بما يدلّ على أنه جيل متفاعل مع لحظته حدّ البصلة السيسائيّة.

في مقابل بقاء تلك المنظومات حبيسة تشبيهات قديمة وموروثة، بما خلق هوّة عميقة بينها وبين هذا الجيل أثمرت إلغاء متبادلًا، فلم تجد تلك النّخب التّقليديّة، أمام خواء خطابها وعجزها الفكري،ّ في مواجهة الجيل الجديد، إلا التّشكيك في وطنيّته وتديّنه من جهة، وتحالفها مع النّظام السياسيّ القائم على تعطيل المواهب من جهة ثانية..

غير أنّ الحراك الشّعبيّ والسّلميّ، الذي قام على أكتاف وعقول وحناجر وأرواح هذا الجيل نسف كلّ الادعاءات المتعلّقة بوطنيّته وتديّنه، ووضع النّظام السّياسيّ على شفير الهاوية، بما أثار مخاوف النّخب التّقليدية من أن تخسر حليفها، فراحت تدافع عنه إلى درجة التخبّط.

ڤاع الفنجال

لم يستطع جدّك أن يوقف النّهر الحامل، حتّى تستطيع أن توقف أنت جيل المحمول.

يتم الكسكسي

ثمّة مقاومات كثيرة رامزة قام بها الجيل الجديد، في اتّجاه فرض إرادته وذوقه ورؤاه، على النّظام الأبويّ الاجتماعيّ المتعسّف، الذّي لم يملك وسيلة للردّ على روح المقاومة الشّبابيّة، والحفاظ على أنماطه التّقليديّة، التّي يراها تجسيدًا للهوّية العامّة، إلّا الطّعن في وطنيّة وأخلاق وتديّن هذا الجيل، فوصفه بالمتمرّد وقليل التّربية والثّقافة والذّوق والأصل والحياء.

ولأنّ تمرّد هذا الجيل على الأنماط الاجتماعيّة الهادفة إلى استنساخه، وفق صورة الأب والجدّ، بما يلغي خصوصياته، التّي أثمرها تفاعله مع لحظته المفتوحة، تؤشّر على تمرّده المحتمل على الأنماط السّياسيّة القائمة، فقد وقع تحالف غير معلن بين أعيان المنظومتين الاجتماعيّة والسّياسيّة، على مدار سنوات الاستقلال، بما منح لمقولة «جبهة التّحرير أعطيناك عهدًا» عمرًا أطول.

في مجال المقاومة الغذائيّة، لدى الجيل الجديد، وهو باب غير مرصود ومدروس بشكل جيّد، تمّ التمرّد على الطّبق الأبويّ الأوّل: الكسكسيّ، الذّي يسمّى أيضًا «الطّعام» و«النّعمة» كنايةً عن هيمنته على بقيّة الأطباق، بحيث فرض الشّاب الجزائريّ أن يكون وجبة أسبوعيّة، بعد أن كان وجبة يوميّة.

أمّا موسيقيًّا، فقد تمرّد هذا الجيل على الأغاني الأبويّة، التّي كانت تهيمن على شارع العقود الثّلاثة، التّي تلت الاستقلال، وفرض أغانيه الرّايويّة والرّابويّة والغربيّة والعربيّة الخفيفة، حتّى بات العرس الجزائريّ يقوم على الدّيسك جوكي، بما له من دلالة التّحكّم في ما يبثّ من الأغاني.

وقد نجح الجيل الجديد في أن يفرض إرادته، في هذين البابين على سبيل المثال، بما أدّى إلى انسحاب الجيل القديم والأبويّ من المطبخ ومن العرس، مكتفيا بترديد عبارة "سوق الذّر".

أشير هنا إلى أنّني لا أنظر إلى الأمر من زاوية أخلاقيّة، بحيث أحكم على السّلوك المشار إليه سابقًا للشّابّ الجديد بالخطأ أو الصّواب، فلذلك سياق آخر، بل من زاوية التّأكيد على روح المقاومة لإثبات الذّات لدى هذا الشّابّ.

وإنّ إغفال روح المقاومة هذه، في فرض الذّات، أو ما يسمّى في قاموسنا الشّعبيّ «تغنّانت»، هو ما جعل المنظومة السّياسيّة لا تفهم طبيعة وروح الحراك الشّعبيّ والسّلميّ القائم، فراحت تتعامل معه باقتراح حلول ترقيعيّة، عوضًا عن الاستجابة للمطالب الواضحة لهذا الجيل. وهو ما أثمر رفضًا مستمرًّا لديه، لخّصه في شعاره "يتنحّاو ڤاع".

إنّنا بصدد اتّجاهين متعاكسين في التغنّانت. جيل سياسيّ حاكم وقديم يصرّ على إبقاء الوضع على ما هو عليه،

منطق الاستمراريّة، وجيل غير مؤطّر وجديد يصرّ على إعادة رسم الملامح، منطق التّغيير. وهو يريد أن ينجح في أن يفرض ذاته سياسيًّا، مثلما نجح في فرضها غذائيًّا وموسيقيًّا. وشعاره في ذلك «أدّي كسكاسك ورابح درياسك".

لماذا لم يتمّ الانتباه إلى رمزيّة أن هذاّ الجيل يشتري أحذية ضيّقة في الأعياد، حتّى أنه «يضلع» بها أيّامًا، قبل أن تلين له؟ إنّها روح التّطويع لا الطّاعة. ولقد ظهرت روح التّطويع هذه، لدى الجيل الجديد، في تعامله مع ثلاثة كائنات: الكلاب الشّرسة والعصافير الزغّادة والدرّاجات الثّقيلة.

غير أنّ هناك سؤالًا آخرَ أكثرَ جدارةً بالطّرح والدّراسة، بعيدًا عن منطق الاصطفاف، والانفعال الفيسبوكي غير المضبوط: لماذا تقبّل هذا الجيل فكرة أن تتولّى المرحلة الانتقاليّة وجوه موغلة في الشّيخوخة، بعد إزاحة بقايا العصابة، ولم يسعَ إلى فرض وجوه موغلة في الشّباب.

قاع الفنجال

جيل يقبل أن تلعب معه وله. لكنّه يرفض أن تلعب به.

ومضات الرّماد

قلّل الحراك من جلوس المسنّين في المساجد وعند عتبات البيوت. كيف نستثمر في عودة الحوار والحميميّة بين الأجيال في البيت الجزائري؟

***

كان الجزائريّ يغضّ الطرف عن المسؤول الفاسد، ويتتبّع أخاه المواطن. اليوم بات العكس هو الحاصل. تصحيح وضع.

***

جاع الأولاد. لا طعام في البيت. أوهمهم الأب بالخروج إلى الحانوت ليجلب طعامًا، لعلّهم ينامون. هذا غرض السّلطة من الإبطاء.

***

غاب إخواننا الأفارقة طالبو «الصّدكة» عن المسيرات. هل فهموا أنّ أيادي الجزائريّين لحظتها كانت مشغولةً باسترجاع المسروقات؟

***

لم تمتدّ أيادي المتسوّلين خلال المسيرات. حتّى هي ارتفعت بالهتاف.

قال بائع الورد: البركة في الحراك. وردة ما بقاتلي.

"ولّيت ما نديرهاش".

من مجلس شبابيّ. يقصد العادة السرّية.

الشابّ الجزائريّ يغادر مقام إنهاك/ انتهاك الجسد، بعد الحراك.

***

رافقت أمّي الحراك بالتخوّف عليه. ثمّ بتمنّي الخروج معه. ثمّ بالدّعاء له.

بعض النّخبة بقوا في المرحلة الأولى.

***

شتّان بين الذّين يختزلون النّشيد الوطنيّ في

«وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر»،

والذّين اختزلوه في "جبهة التّحرير أعطيناك عهدًا".

***

لم أدر هل أدعو على أويحي لأنّه الآن يُسأل،

أم أدعو للشّعب لأنّه الآن يُخدع.

***

يمكن أن نعرف منطقة كلِّ جزائريٍّ من كلامه. يصعب هذا في حالة الهتاف.الحراك لحظة وحدة.

قلّت الزّحمة في قاعات العلاج.
كان الجزائريّ يُعاني نفسيًّا، معتقدًا أنّه مريض جسديًّا،
فيتهافت على المستشفيات.

من تجلّيات بداية تغيّر النّفسيات والذّهنيات، أن الورود الطّالعة في الحومة لم تتعرّض للقطف، مثل المواسم السّابقة، في نفس التّوقيت.

***

لو كان المحيط الرّئاسيّ ذكيًّا، لما فرض عهدةً خامسة، بعد التّفاعل الشّعبي مع المرحوم عيّاش. كان إشارةً على تبلور ضمير شعبيٍّ مختلف.

***

كان هدفنا إزاحة سلطة الجفاف، فلم يمنعنا المطرُ من الخروج.

***

ألقى بعض وجوه العصابة الحاكمة بأسماكهم، قبل الفاتح أفريل.
يُثير ضحكي الكذّابُ المرتبك، الذّي يستبق الأحداث.

عظمة مجاهد ثورة التّحرير بالأمس في «عنفه»،
عظمة حفيده اليوم في سلميته.

***

كنت ألقى الحفاوة في الخارج، لأنّني حفيد ثورة عظيمة. واليوم
زادت الحفاوة لأنّني ابنُ حراكٍ عظيم.
الشّعب يعزّز رصيدَ أمجاده.

***

في السّابق
وأنا خارج الجزائر
كنت أسأل أمّي عن أحوالها مباشرةً.
هذه المرّة
سألتها عن أحوال البلاد أوّلًا
لا أنا انتبهت ولا هي احتجّت.
أمّي لا يُزعجها أن تنافسها البلاد في اهتمامي.

***

قال شابّ لصاحبه في محطّة الخرّوبة،
وهو يشير إلى النّخلات المغروسات في عهد بوتفليقة:
ماتوا قاااع

خطف اللّص زوجة أحدهم. فراح ينتظر أن يطلّقها (احترامًا للأعراف)، حتّى يسترجعها. أليس هذا حال الحراك مع انتظار استقالة الباءات؟

***

من مآزق السّلطة أنّ بثّها للأغاني الوطنيّة في منابرها، يصبّ في تحميس الحراك.

الوطن ملك لمن يحبّه لا لمن يحكمه.

***

سابقًا: فرْدة صبّاطٍ فوق فرْدةٍ تعني سفرًا وشيكًا. حاليًا: تعني المشاركة في مسيرة الحراك غيّر المخيال الشّعبي.

***

فشلتُ فشلًا ذريعًا في أن أكون متشائما.

بل هو رماد يذروه الانتباه

من المؤكّد في هذا الزّمن الانعطافي بامتياز، أنّ الكتابة في الحدث وعنه، هي من أعسر المهمّات وأصعبها وأخطرها. وهذا ما يجعلها الأكثر تشويقًا. فالحراك الجزائري يكتنز في عمقه خصائص الحدث التّاريخي القادر على إحداث رجّات كبرى، وإحداث تصدّعات عظمى. فقد جذب إلى ساحاته كلّ قوى المجتمع، بمختلف تشكّلاتها وتمظهراتها، وأنجز سيلاً من الجماهير الّتي أحالها النّظام البوتفليقي على التّقاعد القسري، مع احتفاظه بـ"حقّه" السّرمدي في استدعائها إلى أعراسه الزّائفة، ورفع عنها غطاء الكسل التّاريخي، وجعل منها ينبوعًا لا ينضب من النّضال، وغربالاً لكلّ الأجساد الّتي لا يتناسب حجمها مع ثقوبه الفكريّة الجديدة.

إنّ عسر الكتابة عن الحدث/ الحراك، نابع من فجائيته الصّادمة وسيلانه العارم وهديره الغاضب وانبثاقه البركاني، وزخمه المتكاثر من الشّعارات والأفكار والمبادرات وظهور رمزيّة جديدة من الشّخصيّات السّياسيّة، وتأسيس قاموس سياسي شبابي يتناغم مع راهنيّة الحدث/ الحراك. فأن تكتب عن حدث يجري تحت ناظريك بكلّ هذه الكثافة الوجوديّة، يعني أنّك مقبل على مغامرة القفز في المجهول والعابر والوامض، من أجل فهم وتفسير ما يحدث حولنا. وهذه هي صفات الشّخص

الّذي يفكّر وهو مسكون بالجنون، كما تحدّث عنه الفيلسوف نيتشه ذات نص شذري واخز.

إنّ ما أنجزه بوكبة عبد الرّزاق، يُعدّ مجازفة على درجة عالية من الجرأة. فنحن أمام فارس معرفي أراد أن يكون من الرّواد الّذين يحوزون على شرف الكتابة في حقل الحراك العذري، معتمدًا على أسلوب الشّذرة الموسع، الّذي أسعفه في مقاربة تفاصيل الحراك، والّتي تتكاثر ربوًا، ومنح له إمكانية إبداع طريقة جديدة وطريفة في التّعبير والتّحرير والإنشاء، بحيث أقدم على صياغة عناوين لمقالاته، بشكل لساني صادم وخارق لما هو معتاد في عالم الكتابة، مثل: وجبة لغثاء السّيل، ومضات الرّماد، عسل الانتماء، وساوس العمامة، تشويش الجدران، وقام بدس ما هو دارج في اللّسان الجزائري، داخل اللّسان الفصيح، لكي يبقى قريبًا من فورة الصّدق الّذي يخرج من أفواه الجزائريين عفويًا، واستثماره في تمتين طريقة الحكي الّذي يخترق كلّ المقالات بُغية رفع منسوب الانتباه والمتابعة والترّكيز لدى القارئ النّبيل.

عندما تقرأ هذا المنجز، تشعر أنّك قدام كاتب يمشي في الأسواق، ومتورط في الفضاء العمومي، ومنخرط في الهموم العامّة والانشغالات الكبرى، ويملك حسًا نقديًا عاليًا، وله عيون فكريّة تترصد مالا تراه العيون الّتي تكتفي بالدّوران والتّحديق فقط، ويذهب إلى المناطق الّتي لم نخمن فيها من قبل،

فتحدّث عن المهمشين والمطرودين من المتن الرّسمي، وهو على يقين أنّهم وقود الحراك وحاملو الدّلو السّياسي، ويرسل في متن خطابه الكثير من الجمل السّاحرة ذات الوظيفة الإيحائيّة والتّعبيريّة، لأنّه يؤمن أنّ الوجود في الجزائر اكتسى ثوب العبث واللّامعنى، وهي سخريّة من التّاريخ الّذي سلّمنا، أو بتعبير رصاصي لا يرحم، سلّمنا أنفسنا نحن إلى شخصيّات ممسوخة أسست للخراب الممنهج، وستتحوّل الكثير من عباراته إلى أمثال تتلقفها ركبان وسائط التّواصل الاجتماعي، وفرسان الحداثة النّابعة من صلب الحراك.

هذا المنجز سيتحوّل إلى وثيقة فكريّة، لأنّها رافقت الحراك السّريع والمفاجئ بكلّ مقدرة على قراءته من زوايا مهملة ومغيّبة من الوسط الاجتماعي والسّياسي، ومن خلالها يريد أن يفهم ما يحدث وفق رؤية معرفيّة تسحب ما هو عادٍ وتجعل منه منصّة للفهم والتّأويل، فهو يفتح اليّومي على الفكري، بحسبانه قارة جديدة من التّفكر الفعلي في مصيرينا القادم، ولا يترك الأشياء والحوادث اليّوميّة تهرب من جهازه المبني على السّؤال والدّهشة والحيرة.

فعلا يا صديقي رزيق، الكتابة هي فنّ مقاومة العدم.

د. بشير ربّوح/ أستاذ وباحث جامعي

الفهرس